

المفكرة الثقافية

فقد اغرق الجمهور هذا انعام بعروض تجارية رخيصة ، وتم التعاقد مع بعض الفرق العربية للقدوم الى الكويت وعرض ما تدعوه بنتائج المسرحي هنا ، بهزل عن المجلس الوطني ، بل وينفس الطريقة التي يتبعها « الامبريزاريو » او متمهد الحفلات . كانت التجارة هي وحدها بواعث تلك الحفلات ، والذين احيوها لم يدخروا جهدا في بذل كل ما يمكن لاستدراج الجمهور الى صالات العرض ، وبالطبع كانت تلك « المذولات » ليست مسرحية، وليست فكرية وليست بريئة احيانا .

وعلى صعيد آخر ، اتخذ المجلس مقررات للمعانة بالثقافة الفنية للأطفال . ومن بين هذه الخطوات اقامة دار عرض سينمائية خاصة بافلام الاطفال والنشء الجديد. وكذلك تشجيع ادب الاطفال والعمل في هذا الاتجاه على تعزيز المنشورات التي تخاطب عقل الطفل وفق الاساليب التربوية الحديثة .

✽ في بغداد وخلال المدة من ٤ - ٩ حزيران - يونيو - الماضي ، اجتمعت اللجنة الدائمة للمسرح العربي التابعة للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بجامعة الدول العربية . وحضرت هذا الاجتماع معظم الدول العربية الاعضاء في جامعة الدول العربية ، وتخللت عن حضوره كل من : الغرب ، تونس ، البحرين ، موريتانيا ، سوريا ، لبنان . وجرى خلال اجتماعات اللجنة انتخاب رئيس وفد العراق عبد الامير



خليفة الفاييز



احمد العدواني

ARCHIVE

http://www.aham.com من الموجهة الفنية فقد اتخذ المجلس قرارا يفرض رقابة مشددة على المستوى الفني للأعمال المسرحية التي تقدم في الكويت . بالطبع هذا القرار كما اوضحت مصادر المجلس، لا يقتصر على مراقبة العروض المسرحية الكويتية ، بل يتعداها ايضا ليضع مقاييس وابهاسا عالية المستوى للأعمال المسرحية التي تقدمها فرق عربية تأتي لتعرض انتاجها في الكويت بمناسبات ومبادرات ليس المجلس الوطني طرفا فيها .

جميع المهنيين بالحركة المسرحية ، بل وجميع المثقفين عموما رحبوا بهذه الخطوة من قبل المجلس ، وادركوا انه تدخل في الوقت المناسب ليضع حدا للمتاجرة الرخيصة بالكلمة والفكر . فالذين رحبوا بهذه الفكرة يستندون في موقفهم الى انخلفيات التي جعلت مثل هذا التدخل امرا ملحا.

✽ في دورته السنوية التي عقدت مع بداية هذا الشهر ، اتخذ المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب مقررات حيوية وبالعلة الاهمية على صعيدي الثقافة والتربية .

احد المقررات ، تعزيز الحركة المسرحية من التاحيتين المادية والفنية . في الجانب الاول دعوة الى اقامة مسرح وطني ضمن استيعاب العروض السنوية للفرق المسرحية في الكويت ، والتي يزيد عددها حتى الان عن سبع فرق ، تواجه هذه الفرق في الغالب ازمة مكان وازمة تسهيلات ، حيث لا يتوفر في الكويت سوى مسرحين كلاهما محدود الامكانية ، ولا يسمح بادخال تقنيات معقدة في الاخراج المسرحي . ومن البديهي ان هذه التقنيات قد أصبحت جزءا لا يتجزأ من العمل المسرحي .



ثريا البقصي

(العرق الأسود) ، وتضم المجموعة ثمانى قصص قصيرة . مع العرق الأسود نستعيد الماضي الذي لم يبق منه الكثير ، اخلاقيات ذلك الماضي التي شكلت العمود الفقري لمجتمع مكافح ارسى اسسها وتقاليد عريقة في المنطقة بأسرها ، هي التي بحسن اليها الجيل الجديد من رفاق السيدة ثريا البقصي في تطلعاته نحو مجتمع افضل واكثر حبا : « اليكم ايها الناس الطيبون ، الذين تسعون من اجل خير هذه الارض .. الذين تسعون لكويت اكثر ديمقراطية ، اكثر عدالة وتقدما .. اليكم فقط اهدى كتابي » . المؤلفة تدرس الفنون في جامعات موسكو بالاتحاد السوفيتي ، وفي العدد القادم من « البيان » سنقف عند «العرق الاسود» بدراسة شاملة .

كذلك تقرر الموافقة على اقامة مهرجان مسرح عربي قومي يقام كل سنتين في بلد عربي ، وسيقام المهرجان الاول في عام ١٩٧٨ في القاهرة او عام ١٩٧٩ في ليبيا . وتقرر التوصية ببحث السدول العربية لاقامة مراكز للوثائق وحفظ التراث المسرحي وتيسيره للدارسين والباحثين .

اما المؤتمر التأسيسي لاتحاد المسرحيين العرب ، فسوف يعقد في شهر اكتوبر في القاهرة لاشهار اجتماع الاتحاد العرب واختيار المقر الدائم له .

وكان الكاتب المسرحي عبد العزيز السريع ، قد زار العراق مؤخرًا ، واجرى خلال رحلته هذه اتصالات مع عدد من العاملين في المسرح العراقي تركزت في معظمها حول امكانية تبادل الزيارات بين الفرق المسرحية في البلدين الشقيقين ، وبشكل خاص امكانية تقديم اعمال لبعض الفرق المسرحية العراقية في الكويت .

الاستاذ السريع كمسؤول عن قطاع المسرح في المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، سبق ان زار دمشق واجرى اتصالات مع المسؤولين في وزارة الثقافة السورية ، كان من ثمارها زيارة فرقة المسرح القومي السورية للكويت ، حيث قدمت عملين : (سهرة مع ابي خليل القباني) لسمعد الله وتوس ، و (الغرياء) لملي عقلة عرسان .

❖ الالابية ثريا البقصي ، اصدرت اولى مجموعاتها القصصية بعنوان

معلة ، رئيسا ، ورئيس دائرة الثقافة بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم صالح الخري مقررًا للجنة . ومثل الكويت في هذه الاجتماعات الكاتب المسرحي عبد العزيز السريع - رئيس قسم المسرح في المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الذي اعلن بانه تقرر ان تجتمع اللجنة الدائمة للمسرح العربي مرة كل عام في شهر اكتوبر في بلد عربي ، وان اجتماعها القادم سيكون في مقر المنظمة بالقاهرة في شهر اكتوبر من العام القادم .

كما تقرر في اجتماعات اللجنة دعم مهرجان دمشق المسرحي للفنون المسرحية ماليًا بمبلغ ٢٠ ألف دولار سنويًا بناء على توصية من مؤتمر وزراء الثقافة العرب الاول الذي عقد في الاردن في بداية هذا العام ، على ان تكون للمهرجان لجنة قومية مشكلة من ممثلين عن دول جامعة السدول العربية .



عبد العزيز السريع

حلقي ملح ،
أنا الشجر ، الصخرة ، الماء
(لا بد ..)

أخطو على الجرح ، ها أتقدم ،
تفتح كل بيوت الازقة أبوابها ..
ترتدني ، تنشر حولي خيوط المودة
جلست تحسمت وجهي ،
التجاعيد بختومة بالمرارة والحزن ،
زودة للطريق هو الحزن أعرف ..
أعرف أن الزقاق المحاصر ..

سكتاي تلعب نيه الأيادي الغريبة ..

✽ يبدو أن العداء بين التمسر
الممودي وبين الشاعر السوري

أدونيس أخذ بالتضائل .. والمقربون

من أدونيس الذي ترك بيروت بعد

أن أقام فيها أكثر من عشرين عاماً ،

يؤكدون أنه قد نظم مؤخرًا أكثر من

قصيدة « عودية » . تحول آخر

عند أدونيس وهو الاتجاه نحو

الكتابة المسرحية ، بدأت آثاره تظهر

في دمشق . فقد كرس جزءاً كبيراً من

نشاطه للاهتمام بالمسرح والحركة

المسرحية ، غير أن أدونيس يرى أن

المسرح بناء مركب من مجموعة عناصر

ثاني الكلمة في طبيعتها . وقد أثار هذا

الراي نقداً شديداً لدى المسرحيين

السوريين باعتبارهم لا يعطي أهمية

كبرى للتحويلات الاجتماعية، والمضامين

الإنسانية والثقافة للعمل المسرحي ،
وباعتباره على نحو ما رأينا يبرر
الهروب من التصدي للواقع ويفرغ
المسرح من دوره الاجتماعي .

✽ بدأ النشاط يدب في أوصال دور
العرض البيروتية ، والمؤسسات
الثقافية في وقت واحد ، فنهة أعمال
تعرض حالياً للفنان بول
غيراغوسيان ، وكلها من أعماله

المسؤوليات كما عرفناه في نتاجه ،
وخاصة في كتابه القيم عن تاريخ
الأدب في الكويت .

✽ صدر مؤخراً للاديب الكويتي

« عبدالله زكريا الانصاري » كتاب

« روح القلم » . ويتضمن جولة

في ميادين الفكر والأدب والتراث

الشعبي ، كما يتناول مشكلات

المثقفين العرب والحرب النفسية

والحروب الفكرية في العصر الحديث،
بالإضافة الى عدد من الموضوعات

الأدبية الأخرى . هذا ويستقيم
في الممدد القادم أن شاء الله دراسة

كاملة لهذا الكتاب .



عبد زكريا الانصاري

✽ صدر للشاعر البحريني « علي

الشرقاوي » ديوان (الرعد في مواسم

الفتح) . مجموعة جديدة من

القصائد التي تعكس تطوراً جديداً في

مسيرة الشرقاوي الشعرية ، رمزية

مفرقة ، بيد أنها تعكس هموم جيل

المثقفين العرب ويحثهم عن باب

ينجون به من الضيق والمحاصرة
والغربة ..



خالد سعود الزيد

✽ الشاعر خالد سعود الزيد

يتذكر على صفحات « السياسة »

أحدنا هبة في تاريخ الرواد الأوائل

للحركة الأدبية في الكويت. وفي فكرياته

بالإضافة الى الطرافة ، بحث ينض

بالحيوية لتلك التجارب ، بمرارتها

وحلاوتها ، التي قادها أولئك الرواد

من أمثال الشيخ عبد العزيز الرشيد،

وصفر الشبيب وخالد الفرج وغيرهم .

كان الكفاح من أجل الكلمة مسؤولية

بحفوة بالخاطر والمصاعب . وكان

عنى من يتصدى لتلك المسؤولية أن

يدرك ما يخبله له الجهل واعداء

الثقافة والفكر من بشقة . وهكذا فقد

اضطر عبدالعزيز الرشيد ، بعد أن

جوبه بمعارضة شديدة في أرض

الوطن ، أن يصدر مجلة « الكويت »

في البحرين ، وأن يرتض فيها بعدد

أبى جاوه وسومطره ، حيث مات

ودفن هناك . في استعادة هذا

التاريخ الحافل وراء لمسؤولية الاديب .

وخالد سعود الزيد يجيد حمل



كامل هوا من تشكيل

الجديدة ، في معرضين : الاول في احدى قاعات السعودية ، حيث يعرض مع سينا ماتوكيان وعمران لبنان الثقافية في منطقة الرابية .
اما الفنان كامل هوا فقد عرض في النادي الثقافي العربي مجموعة من اعماله المرسومة خلال سنتي ٧٥ - ١٩٧٦ .

وتظهر في اعماله اهتمامات متباينة دقات الحياة اليومية ، حياة - الطابعة - و - الموظفة - و - العارضة الترميمية - و - استراحة ماري - وكلها منفردة من تجاربه الخاصة التي يعرفها ، التجارب القريبة الى نفسه .
ولكن يلاحظ انه رغم التقنية الغنية لدى هذا الفنان ، الا ان تجاربه المحصورة خلال فترة حرب دامت سنتين لا تلم الا بشكل نادر جدا بالمناخ العام من حوله . وتبدو مساحات لوحاته مطمئنة ومريحة الى حد غريب يدفع الى القول بانه اقتصر في تعامله مع الاداة : الخط واللون ، دون مضمون جوهري يعطي لوحاته قيمة ثقافية في تيار الثقافة العام .

✽ في منتصف شهر مايو ، انعقد ملتقى خاص بالقصاصين العرب بمدينة الحمامات في تونس . شارك في المؤتمر عدد من القصاصين في الاقطار العربية ، ولا سيما الشبان منهم . ومع ان مشاكل التوزيع والتشعر في الوطن العربي ، واستطرادا ، الحواجز التي تقام لسبب او اخر في وجه النتاج الانبي ، قد نالت قسطا كبيرا من النقاش ، الا ان قضية « توجهات الكاتب » او لمن يكتب الاديب ، كانت محوراً لنقاش خصب تمخضت عنه آراء واتجاهات تعكس الاتجاهات الايديولوجية للقصاصين العرب .
✽ في مهرجان نانسي المسرحي (غرنا) الذي اختتم في اواخر اشهر الماضي ، واشتركت فيه فرق مسرحية من أنحاء مختلفة من العالم ، حملت لامة زرعت في احد شوارع

المهرجان صورا وكلمات بالفرنسية كلها اسف ، هي كل ما تبقى من عرض كانت ستشارك فيه فرقة مصرية تحت عنوان « الدقيق » ، اي الطحين . وخلف هذه اللامعة كان يقف شاب اسمر نحيل هو الممثل عبد العزيز مخيون ، عضو فرقة المسرح القومي في القاهرة . لكن اللامعة الصغيرة الحجم كانت تحيل خلفها تجربة فذة في المسرح العربي .
غالفرقة ليست من الممثلين المحترفين ، حتى ولا من الهواة ، وانما من فلاحين قرية ثائية في شمال الدلتا هي قرية « زكي افندي » ، وقع المسرح عليهم وقع الصاعقة ، فاختلعت حياتهم بعده . لقد حققت « زكي افندي » بعض طموحات مسرحية حديثة جادة القصد في محاولة الفداء الحاجز بين المسرح وجمهوره ، ولم يكن ذلك هينا وانما استغرق سنتين



مناقشة بعد " البروفة " اختط فيها المتفرجون بالممثلين .

تجأحا بأهرا في قرى ومحافظة
الصعيد .

عبد العزيز مخيون في تقديم عمله
في نائسي وفي القاهرة ، لكنه نجح

من التجارب تطلعت أحداث بدأت
بتوفيق الحكيم ، وانتهت بخطوطه
كتاب يحله مخيون منجلا فيه
بأسلوب اليوميات هذه التجربة
النفذة .

لبنان.. ملاذا ؟

الذين أفرزتهم الحرب على صعيدي
الطرفين المتحاربين ... بعض
قيادات المقاومة الفلسطينية .. ادباء
وفنانين .. وأخيرا الى وجوه عادية
غير معروفة لكنها نماذج من ذلك
الشعب الذي لا يستطيع الإجابة على
السؤال الكبير (لبنان .. لماذا ؟)
الفيلم من تحقيق الشاب اللبناني
جورج شمشوم . وقد وصف الفيلم
يقوله (فيلمي سيظل يهيم الناس ما
بقي هناك في العالم مجال لانفجار
الحروب بين ليلة وضحاها . لم
أحقق فيلما عن حرب لبنان وكفى .
ما أردت إظهاره هو فظاعة الثمن
الذي تدفعه الشعوب من جراء تلعب
حكام عابثين بمقدراتها) .

في مهرجان (كان) السينمائي
الثلاثين ، استأجر شاب لبناني صالة
تتسع لحوالي أربعمائة متفرج ، وقدم
عروضا لتسختين بالانجليزية
والفرنسية لفيلم « لوطن موزق
وشعوب ضائع » . وبدا الفيلم بعنوان
كبير (لبنان .. لماذا ؟) . يبدأ الفيلم
بمعركة الفنادق في بيروت .. وقد
صورت معارك حية من داخل تلك
الفنادق . ، والتي كانت معركة
الاستيلاء على تلك المناطق
الاستراتيجية أشد مراحل الحرب
الأهلية ضراوة . ثم يتحرك المخرج من
الأحداث الى الأشخاص ، فيلتقي
بمجموعة كبيرة من السياسيين
التقليديين . الجيل الجديد من القيايين

المسرح المرتجل الذي يكسر حاجز
انشكل بين الممثل والجمهور كان
وما زال حلما قديما متجددا .
والفرنسي « جان غيلار » مات وفي
صدره غصة لأنه أخفق في ذلك .
وكثير من المواهب العربية الشابة
حاولت ، ولو بتأثير المفهوم الغربي ،
أن تجرب في هذا الاتجاه . ومن أهم
التجارب تلك التي قام بها اللبناني
« روجيه عساف » . بيد أن عساف
العزیز مخيون نجح حيث أخفق بعض
المسرحيين العرب . فخلق في إحدى
قرى الصعيد المصري فرقة مسرحية

من الفلاحين . تجاوزت معه الفرقة
لأن كلا من أفرادها أدرك أن المسرح
يعطيه إمكانية التعبير عن نفسه وعن
حالته الاجتماعية بدأ أول تجاربه
بمسرحية « الصفتة » لتوفيق الحكيم .
وقد أصر الفلاحون من ممثلين وجمهور
على تعديل النهاية . ووافق الحكيم
على اقتراحاتهم ، لأنها تبطل واقعهم
أكثر مما تخيله فكره الإصلاح .
وبعد « الصفتة » قدم مسرحيتين
أخرين . وحاول أن يقدم « الدكتاتور »
اللبناني عصام محفوظ ، لكن اللهجة
وقفت عائقا .

عبد العزيز مخيون يواجه المناصب
من قبل بيروقراطيي الثقافة في وزارة
الثقافة في مصر ، ومن أجهزة الإعلام
ولكن ، هل ذلك بمستغرب .. ؟ فشل

جورج شمشوم ويعني هيك مع كمال جنبلاط في المفكرة ، في شتاء ١٩٧٥ . وهذه المظلة
بشمسها فيلم «لبنان ... لماذا؟» .





بمِثْلَم
حَلَمِي
مَحْمَد
القَاعُود

نازك الملائكة

الشعر والهدوية

- ١ -

والسيدة نازك تمثّل عنصري الاصالّة والمعاصرة
ممتزجين في الميدان الفكري والادبي الذي تمارس فيه
دورها الاجتماعي . ومن هنا فهي تمثّل الجانب المعتدل
الذي ينظر الى قضية التقدم الحضاري نظرة موضوعية
تحتلّ باحترام كل الاطراف المنازعة فكريا .
ان شاعرتنا تمتد بتأثيرها الاجتماعي الى عالم المرأة
العربية ، حيث تعرضت بمسألة المرأة منذ بداية هذا
القرن الميلادي الى حركة من الحوار العنيف الذي شمل

السيدة نازك الملائكة من اعلام الشعر العربي
المعاصر ، سواء لدى انصار الشعر الحر او مؤيدي
شعر الشطرين الذي توارثنا صورته عن اجدادنا القدماء
والشاعرة تحتلّ بأهمية كبيرة لدى دارسي الشعر ونقاده
على السواء ، ومن ثم فان التركيز على التجربة الادبية
والانسانية للسيدة نازك يصيح مطمحا كبيرا لا بد منه
خاصة في الظروف الراهنة للمجتمع العربي الذي يتوتر
بالقلق الحضاري الغلاب .

كثيرا من جوانب الفكر والسلوك ، متجاوزا موضوع المرأة ذاته . وقد ارتبط هذا الموضوع بآكثر من وجهة نظر تبناها زعماء مشهورون وسيدات ما زالت اسماءهن تتردد على السنة المطالبين باعطاء المرأة حق المساواة الكاملة بالرجل ، واناحة الحرية الكاملة لها في الاختلاط وبشاركة الرجل في شتى نواحي العمل والسلوك . وقد شاركت السيدة نازك في هذه القضية بجهود ملحوظة ، وان كان معظم هذا الجهد يظهر في صورة عملية خاصة ، على النحو الذي سنوضحه فيما بعد .

— ٢ —

بيد ان اهم ما ينبغي ان نبدا به هنا ، هو قضية التجديد الشعري التي شاركت فيها نازك ، كرائدة ، بل يعتبرها البعض الرائدة الاولى التي تزعمت القضية وفجرتها منذ قصيدتها الشهيرة والمسماة بـ « الكوليرا » ، والتي نسجتها تعبيرا عن تضامنها الروحي واشفاقها الحزين على شعب مصر الذي اصابه الوباء الالعين عام ١٩٤٧ (١) .

ولقد اوضحت نازك وجهة نظرها في التجديد الشعري المأمول في كتابها الهام « قضايا الشعر المعاصر » الذي صدرت طبعته الاولى عام ١٩٦٢ . وقد طبعت منه اربع طبعات حتى الان . وفي مقدمات مجموعاتها الشعرية ، خاصة مجموعة « شظايا ورماد » يمكننا ان نلخص هنا افكار السيدة نازك حول ضرورة التجديد الشعري ، والانتقال بالشعر العربي من مرحلة الجود الى مرحلة الاشراق والنمو والامل ، في النقاط التالية :

١- تنطلق نازك في عملية التجديد بدءا من اللغة ، الوعاء الذي يحمل الشعر لفظا ومعنى وصورة وموسيقى وايقاع ، وترى ان الشعر العربي لم يتحرك من رصده الطويلة في عصور التخلل والانحطاط ، لان اللغة ما زالت محتلة وجاهدة وغير موحية ، وغير قادرة على مواجهة اعاصير القلق والتمزق الذي يلا نفوسنا اليوم . تقول نازك :

« انها ، اي (اللغة العربية) قد كانت يوما لغة موحية ، تتحرك وتضحك وتبكي وتعصف ، ثم ابتليت باجبال من الذين يجيدون التحنيط وصنع النماثيل ، فصنعوا من الفاظها «نسخا» جاهزة ، ووزعوها على كتابهم وشعراتهم ، دون ان يدركوا ان اشاعرا واحدا قد يصنع لغة ما لا يصنعها الف نحوي ولغوي مجتمعي » . ان نازك تدافع عن ضرورة الانتقال باللغة من مرحلة التحنيط والجود الى مرحلة الحركة والحيوية دفاعا مجيدا يشاركها فيه كل الباحثين والكتائين المحبين للغةهم ووطنهم .

ب - ان السيدة نازك ترى ان القافية في الشعر العربي تشكل قيدا بكلام لا لزوم له ولا معنى ، بالاضافة الى ان بعضهم - اي الشعراء - قد يضع القافية سلفا قبل ان ينظم البيت ليأتي بالمعنى الذي يلائم القافية دون اعتبار لسباق او الجو النفسي الذي تسبغ فيه ابيانه وكلماته ، وتضرب على ذلك امثلة (٢) . وما زالت هذه النقطة تثير جدلا عنيفا ، خاصة لدى بعض الجامعيين .

ج - تعتقد السيدة نازك انه لا بد من التوافق مع ايقاع العصر وروحه ، وادراك طبيعة التطور ، فليس من المعقول ان نظل صورة طبق الاصل من اجدادنا القدماء ، ونردد ما كانوا يقولونه قبل الاف السنين (تقاربك - بانث سماد) (٣) . وموقفها هذا ينبع من ايمان راسخ لا يتزعزع بمستقبل الشعر العربي ودوره في بناء الوجدان العربي ، وهي تدافع دفاعا حارا وعميقا عن موقفها التجديدي ، وسوف انتقل هنا صورة لنقاش عائلي سجله زوجها د. عبد الهادي محبوبة في مقدمته لكتابها الهام « قضايا الشعر المعاصر » عن كراسة سجلتها فيها الشاعرة ما يدور بين الاسرة من احاديث ، وكان الحاضرون : والدها صادق الملائكة ووالدتها ام نزار . واشقاءها : نزار وعصام واحسان وسها (٤) :

« تدخل نازك غرعة الاستقبال ويدها القصيدة وتقول : هذه القصيدة مشكلة جديدة من مشاكل ديواني المخجوسين بـ شظايا ورماد » .

فتجيب « احسان » : ان عشاق الشعر الاوروبي سيفهمونها ولا شك .

ابو نزار : ما هذا الشعر الجنوني ؟ انه هذيان ! اين الوزن ، اين القافية ، ما معنى الموت ، الموت ، الموت !!

نازك : هل تعني انك لم تفهم فكرة القصيدة ؟ ابو نزار : الفكرة تصويرية لا بأس بها ، ولكن هذا الوزن المبتكر لم يطربني واتا لا تفهمه ، اسالي امك . ام نزار : لقد قرأت القصيدة اليوم ، وقلت لها : انها اشبه بالشعر المنثور مع انها لا تخلو من وزن غريب .

احسان لنازك : اكتبني عليها انها من السوزن الفلاني ليصدقوا .

نازك : لقد قلت لك ان الجمهور سيفضح مني ، ولكني - مع ذلك - واثقة ان هذه القصيدة ستكون بداية عصر جديد في الشعر العربي .

ابو نزار : من يقرأها ؟ انا والعراقيون الذين اعتادوا رصانة المتنبي وجزالة البحري ؟ انك لن تستطيعي

الخروج على الذوق العربي ، فانت واحدة والامة ملايين .

نازك : قولوا ما شئتم ، انقسم لكم اني اشعر اليوم بانني قد منحت الشعر العربي شيئا ذا قيمة .

نزار : ان العمل الذي يقابل باختلاف عظيم في الرأي لا بد ان يكون عظيما .

من هذا الحوار ، نرى ذلك الاصرار الملهم على ضرورة التجديد ، واحداث الهزات العميقة في بنيان الشعر العربي ليرتقي من وضع الى وضع افضل .

د - بيد ان هذه الرغبة العارمة في التجديد لدى نازك لم تدفع بها الى التنكر للشعر العمودي بل انها ذكرت في مقدمة مجموعتها « شجرة القمر » انه لا بد من عودة الشعراء الذين ينظمون على النهج الحر الى شعر الشطرين (٥) معترفة بعبوب في الشعر الحر ، ابرزها الرتبة والتدفق والمدى المحدود . وقد ناقشتها في الصيف الماضي (١٩٧٥) بعد مرور فترة طويلة (ثلاثين عاما تقريبا) على وجود الشعر الحر بيننا ، وقد انتهت الى انها ما زالت متمسكة بوجود الشكلين ممعا ، وباستمرارهما جميعا (٦) .

هـ - ان ابرز عنصر بالنسبة للسيدة نازك في قضية التجديد الشعري يكن في انها تنطلق وفق تصورات عربية اسلامية وليس وفق تصورات غربية على الوجدان العربي . ومن المؤسف ان غيرها من شعراء التجديد المعاصر - الا من صمم الله - انداحوا في وديان اخرى شابهها الشاعرون والريبة ، وارتبطت بعوامل اخرى غير ادبية تماها مثل المؤثرات السياسية والمذهبية والشعبوية الحديثة . وقد اوضحنا طبيعة هذه الحالة في مقال لنا منذ اكثر من عام (٧) .

وبقي نازك الملائكة بعدئذ ، الشاعرة المجددة المنطلقة من نظرية لها انصارها الانقياء ، وهي دعوى الفن الاخلاقي ، او الاخلاق المرتبطة بالفن ، وقد فصلت ذلك في كتابها الثوري (التجزئية في المجتمع العربي) ، ونعدت نظرية (بندوكروتشة) الإيطالية ، الذي يفصل بين الفن والاخلاق ، حيث يقول : « الدعوة الى الفضيلة ليست مهمة الفن ، بل مهمة الدين وعلم الاخلاق » . وتعقب نازك على ذلك (٨) : « والواقع ان كروتشة يخلط هنا بين الدعوة الوعظية الى الاخلاق بالاساليب المباشرة وهي مهمة الدين ، وبين الاخلاق الوعظية التي يشف عنها الاديب دونها وعظ ، وهي قسمة الجبال في الادب والفن ، ولو تأمل المتأمل ، لما وجد تعارضا بين علم الجبال وعلم الاخلاق ، بل هما كل واحد لا يتجزأ » . ومن ثم فانت لا تستغرب ان تقول : ان الاديب من اقدر الناس على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر (٩) ، لانه

يحمل قلبا ويملك سحر البلاغة ، وينيز - وهذا هو السر - بالايان والاخلاق والعلم والعمل . اما البلاغة وحدها باعتبارها الجمالية فهي من سقط الفاع ، وكمن من قلم وهووب ينجح في هدم المجتمع وزعزعة قيمه (١٠) .

وينبغي ان نشير هنا الى ما سمي بقضية الرجعية والتقدمية ، او الجمود والتجديد ، فقد اقتنعت نازك بان الاديب الذي يثق في نفسه وفي مجتمعه العربي لا تهمة تلك التهمة او هذه ، وترد الترائق بتهمة الرجعية والجمود الى ضعف الثقة بالنفس والخوف ، والاهتمام بالكلبات في مقابل الاستهانة بالقيم . وعلى الواقع ان لا يبالي باي تهم ، لانه كالشجرة الباسقة تصمد للريح ولا تنهالها (١١) .

- ٣ -

ان شخصية « نازك الملائكة » الانسانية ، صورة مطابقة لامكارها ، فهي طبيعية في تصرفاتها وسلوكها بسيطة في مظهرها وملبسها ، لا تنجح الى التكلف والاضفاف ، ولا تبالغ في الاناقة ولا تسرف في التشكيلات . انا صورة المرأة العربية حين تتحرر من قيود الازياء والتخلف العقلي والزينة المرفهة ، وتعتمد على الثقة في نفسها ، والجرأة الحية ، والفكر المائل ومن هنا نستطيع ان ندرك دورها في قضية المرأة ومشاركتها الفعالة والمستتيرة نحو فهم القضية فيها واعيا واسليا يرتكز على التصور الاسلامي ، وهو تصور يتسق مع الفطرة والطبيعة الانسانية ، او يجعل من العلاقة بين الرجل والمرأة علاقة تكامل وليست علاقة تساو تمكن كل طرف من الاستغناء والاستقلال عن الطرف الاخر . كما ان السيدة نازك نظرت الى قضية المرأة في جانبها الذي لا يختلف عليه احد وهو جانب التحرير العقلي والفكري لذهن المرأة من الخوف والتخلف . ووضعت القضية بعدئذ في اطار القضية العامة للمجتمع العربي الذي يعاني مما سته : « التجزئية » .

ولقد اخذت نازك على المرأة العربية مأخذ كثيرة في هذا الاطار ، وعند هذه المأخذ تقول (١٢) : نجد عين التجزئية التي تفرق بين القول والعمل ، بين النية والتطبيق ، بين الفكر والحياة . تقول المرأة انها حرة كاملة الحرية ، ثم لا نلاحظ ان دور الازياء تستعبدتها وتسلبها كل حرية ممكنة ، لانها مضطرة - شات ما ابت - الى ان تلبس ما يريد مصمم الازياء العاليت . « وتستطرد نازك قائلة : « وهي - اي المرأة - قد استحالحت الى دمية يلبسها مصمم الازياء ما يشاء دون ان تسال . لماذا ؟ وما المبرر للتكري لهذا الصنف من اللباس او من تصنيف الشعر او اطالة الاظفار ، او لبس

والظلام الظلام يطفئ عيني
 لماذا احس ؟ ماذا اريد ؟
 لقبوها الحياة وهي اضطراب
 ابدي ولهفة لا تفر
 وامتداد للانهاية لا يبدأ
 لا ينتهي فابن المهر ؟
 لقبوني « آنا » ولم يفهموني
 ما انما وجودي المكفهر
 انا ماذا ؟ تحرق ليس يرتاح
 وظل سرعان ما سير

وتحكى عن « الشهيد » قائلة (١٥) :

« في بجى الليل العميق
 راسه القشوان القوه هشما
 واراقوا نيه الصافي الكريما
 فوق احجار الطريق

ومن القبر المعطر
 لم يزل مقيما صوت الشهيد
 طيفه اثبت من جيش عنيد
 جاثم لا يتقهقر

وسيقى في ارتعاش
 في اغانيها وفي صبر النخل
 في خطا اغنامنا في كل ميل
 من اراضينا العطاش .. »

ان دواوين ، السيدة نازك ملاي بحياة مواراة ، في
 شتى حالات الجزر والمذ ، بنعمة باريج الحياة وعطرها
 الفواح ، وان كانت تغلب عليها مسحة من الحزن المقيم !
 وشعر السيدة نازك يحتاج الى شرح وتحليل
 ودراسة ، ولا نستطيع في هذه المناسبة ان نستطرد اكثر
 من ذلك ، بيد ان الذي نود ان نخلص اليه ان شاعرنا
 قد تحركت وفق تصورات تنبثق من طبيعة هذا الوطن
 الكبير ، وتسرى في خلاياه ، ولا تنفصل عنه رغم مرور
 الزمان والاحداث . لقد كانت وفية لهذه التصورات ،
 فعبرت عن هوية الامة التي تنطق بلسانها ، ولم تنحرف
 بالخطا او الهوى الى عوالم اخرى من الفكر الازهابي او
 الادب الشعبي او الكتابة الهدامة . ومن ثم فقد اسهبت

الكعب العالي ؟ . وانما هذه الامور مرتبطة بالحركة ،
 فلا حرية لمن يلبس ، ولا يدري لماذا يختار هذا دون
 ذلك » .

ان السيدة نازك تقف وقفة موضوعية حين
 تأخذ على المرأة العربية المعاصرة كثيرا من المآخذ ،
 التي نتجت عن سوء فهم لمعنى الحرية والتحرر ،
 ومن ثم كان عليها ان تخوض معترك القضية بتسلح
 بالفهم والوعى والتصور السليم ، فضلا عن كونها
 من بنات حواء تفهم طبيعة اختها المرأة ، وتدرك ابعاد
 مشكلاتها .

ان حياة السيدة نازك ، كما قلت ، نموذج لانطباق
 الفكر على السلوك ، والقول على العمل ، ومن ثم غانا
 نراها زوجة واما وكاتبة وشاعرة واستاذة في قسم
 اللغة بالجامعة ، تنطلق في بساطة وتلقائية وموضوعية
 ندر ان نتحلى بها الكثيرات من قريباتها .

—٤—

انها تعمل وتفكر وتبارس حياتها الانسانية في اطار
 من الخلق ، والاحترام للنفس وللآخرين ، دون قيود
 تعوق حركتها ، او سدود تمنعها عن الانطلاق في شتى
 ميادين الفكر والانتاج .

وتقدم الان بعض النماذج التي تعبر عن شخصية
 الشاعرة واحاسيسها الوجدانية ، ونظرتها الانسانية ،
 وفلسفتها للحياة والواقع . ولنقرأ بمشاعر تصيدتها
 « كبرياء » (١٣) :

لا تسلي ، لا تجرح السر في نفسي
 ولا تمسح كبرياء سكوتي
 لو تكلمت كيف ترتعش الاثـ
 قبر حلم وفجر جرح مميت
 لو تكلمت كيف ترتعش الاثـ
 سمار حزنا وترتمى في عياء
 لو كشفت السر العميق فمذا

يتبقى منى سوى الاشلاء؟
 وفي تصيدة وجهه وبرايا تفلسف واتعها على هذا
 التحدو (١٥)

الفراغ الفراغ يقتلنى او
 اه لو كان للوجود وجود
 اه لو لم تحل مواقع اقدا
 مى امتدادا حدوده الا حدود
 السكوت السكوت يفقر فاه
 وغدا يغرب الهوى والتشيد

الهوامش

- (١) نازك الملائكة - شظايا ورماد - دار العودة - بيروت ١٩٧١
ص ١٦٦ .
- (٢) شظايا ورماد - ١٣/١٢/١١ .
- (٣) السابق ص ٧ . وبلاط ان السيدة نازك قد عادت لتتحدث عن « سيكلوجية القائية » وصرورها في القصيدة (مجلة الشعر - ابريل ٧٥) .
- (٤) نازك الملائكة - شظايا الشعر المعاصر - ط - دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٤ (ص ٢٣٦ وما بعدها) .
- (٥) شجرة القمر - دار العودة - بيروت ١٩٧١ ص ١٤ .
- (٦) الهلال (الزهور) سبتمبر ١٩٧٥ .
- (٧) الثقافة الاسبوعية - القاهرة - العدد ٣٩ - ١٩٧٤/٧/١٩ (مقالنا الشعر بعد الثالث والعشرين من يوليو) .
- (٨) التجزئية في المجتمع العربي - دار العلم للملايين - بيروت ١٩٧٤ ص ١٦٦ .
- (٩) السابق ١٨٢ .
- (١٠) السابق ١٨٠/١٧٩ .
- (١١) السابق ص ١٨٠/١٧٩ .
- (١٢) التجزئية ص ٦ .
- (١٣) شظايا ورماد ٢٢/٢٢ .
- (١٤) السابق ١٦٠ وما بعدها .
- (١٥) قراة الموجة - دار الكتاب العربي للطباعة والنشر - القاهرة (يكون تاريخ) ص ٤٠ - ٤٢ .
- (١٦) غيرت الشاعرة اسم هذه المجموعة ، فاصح « وبغير الروانه البحر » وقد اخبرني بذلك مؤخرًا .

في بلورة الشخصية العربية، وفشتت عن مكنونها المتوهج والمهيء . وينبغي ان نذكر هنا ما قدمته للمكتبة العربية من كتابات وأشعار حتى ساعة اعداد هذا الموضوع :

اولا : الشعر :

- ١ - عاشقة الليل - بغداد - ١٩٤٧ .
- ب - شظايا ورماد - بغداد ١٩٤٩ .
- ج - قرارة الموجة - بيروت - ١٩٥٧ .
- د - شجرة القمر - بيروت - ١٩٦٨ .
- هـ - مأساة الحياة واغنية الانسان - بيروت - ١٩٧٠ .

وقد علمت ان الشاعرة تعد لاصدار مجموعتين جديدتين هما : للصلاة والثورة ، وزنابق روحية (١٦) عن بيروت .

ثانيا : النثر

- ١ - قضايا الشعر المعاصر - بيروت ١٩٦٢ .
- ب - شعر علي محمود طه - القاهرة ١٩٦٥ .
- ج - التجزئية في المجتمع العربي - بيروت ١٩٧٤ .

وتعد الشاعرة كتابا جديدا عن اللغة العربية ونشأتها .

وبعد ...

فاننا نعتبر هذه الكلمات مجرد تعريف يحمل بعض الملامح لشاعرة عربية معاصرة لها وزنها واتزانها ، وساهمت في البحث عن هوية الامة ، ويعلمها من جديد .

زورق الأحلام

الا ايها الريان ! ما اعجل مسراكا؟
عويل الريح ، والامواج ، في الابحار تلقاكا
ووجه الليل ، والاعصار ، في الافاق ترقاكا
نداء في تخوم الليل للجهول ناداكا ..



اتبقى في صفاف البحر مشغولا باسفار
تعود مرافء الاتين ، او في ظل تيسار
تكابد وحسك الاهوال في عزم واصرار
وترجع بعد ما قانسيت .. مشنودا لننكسار

ويبقى زورق الاحلام من ان ، الى ان
على الامواج في الابحار في غفلة ريان
هنا يصعد في تيه ، كما يهوي لقيعان
وموج البحر بين المريح في ثورة بركان



رويدا ايها الريان في مسارك لا تعجل
نسيت مسارب الامطار بين الحقل والمجدول
فماذا تبقي في البحر لسولا الزورق الاول
ودع ما كسان بعد الامس نحو شعاع مستقبل

كاظم محمد حسين
الكويت - العراق

النهاية

شعر: محمد عبد المجيد الطويل

على الاغصان قد علقنت ذكرى حيننا الضائع
وفوق الزهر قد ابصرت وجه سرائنا الخادع
وهنا في بحار التيه ، نطويها وتطوينا
وابحرنا ، ودمع المين يجري في مآقينا
وبين عواصف هوج ، مشينا دون ملاح
وغامت حوتنا الرؤيا ، فاصبحنا كاتسباح
وفوق الشاطئ المجهول القينا مراسينا
وسرنا في مجاهله ، نفتش عن اماتينا
ولف الليل شاطئنا ، فليس يبين للرؤيا
كان الليل مصلوب عليه ، فلا ولن يحيا
جدار الصمت يجثم مثل سد بين قلوبنا
 واصبحنا حيارى حوله ، نبكي ، وامسينا
وعشش في القلوب. الحزن طرا ما له اخر
تخبر مرتعا خصبنا ، فما اتساه من طائر
 واجلى الحب عن عرش له كنا بنيناه
فعدا الحب يسالتنا ، ولكن ما اجبناه
فظل يصيح في الاعماق ، يكيينا ونيكيه
الى ان مات وا اسفا ، عجزنا كيف نحياه
وفوق ضفافنا السوداء في قبر دفناه
واريناه بين التراب ، انما ما يكيناه
وعذنا من جريمتنا ، لنبصر فوق ابدنا
دم المقتول يصفعنا ، باننا قد قتلناه
محمد عبد المجيد الطويل

شبيها بحالة التطهير لدى البطل
التراجيدي الاغريقي ، بل ان بطلنا او
انساننا لم يكن يواجه وضوحا كالبطل
الاغريقي .. وفي منية الصراع من
الضبابية والتزييف والاستلاب
والتهر ، وجد الانسان نفسه مرهقا
معزولا ، وبالنهاية استسلم واصبح
فردا ضائعا عاديا .

ومسرحية « الصوت والصدى »
كما قدمتها فرقة المسرح الليبي ،
واخرجها الشاب محمد القمودي
طرحت تجربة مسرحية متقدمة امام
جمهور المسرح الكويتي . ومع ان
المسرحية كانت قصا واخراجا معقدة
للالغاية ، بسبب الإغراق في الرمز ،
وبسبب تشابك خيوط الرموز ذاتها ،
الا ان النخبة التي استطاعت ان
تستوعب فلسفة التأليف والاخراج ،
كانت تادرة على تقويم التجربة
المسرحية الليبية ، وان تعود معها
الى عالم الضياع والتمزق منذ
عشر سنوات .

صحيح ان المسرحية افترقت قدرا
معينا من التطور في الحركة الدرامية.
فقد كان الحدث بحد ذاته ، او على
الاصح ، مجموعة الاحداث المتوakية
التي ترصد حياة نماذج اجتماعية
متباينة التجارب والتكوين ، لا تواجه
تغيرات درامية كبرى .. الا ان النص
والاداء كانا مشحونين بذهنية بالغة
الصدق والعمق معا في رسم حالة
قطاعات اجتماعية متعددة في ظل
حزيران .

لقد كانت مسرحية « الصوت
والصدى » عملا فكريا ، متفعلا بواقع
قومي مأزوم ، ومحاولة ذهنية الى
حد كبير لرصد الواقع النفسي لذلك
المجتمع الذي وجد نفسه امام
الكارثة ، ولكنه ايضا امام غوائل التكبل
مبادرته ، وتشلل كل تطلعاته نحو
ذلك الواقع ، وبناء اطر جديدة
لتفكيره ونشاطاته تزدهر فيها حرته
وارادته .



سياحات فكرية

فاضل خلف

غرناطة ، والحصراء ومحمد بن أبي عامر ، وابن زبون ، والمعتد بن عباد ، والطلمساني أحمد بن محمد المقرئ ، والمعالان هما : ثقافة فاضل خلف العربية ، لكونه واحداً من أوائل المثقفين في الكويت الذين ارسوا الادب العربي والتاريخ الاسلامي بشكل عام ، وكتبوا في هذين المجالين . والثقافة العربية اكدت المؤلف نوعاً من الاحساس الرومانسي الذي تنبعث منه نفحات الاعتزاز بنجرات الحضارة العربية في تلك البلاد ، دورها التحريري والتثقيفي في اوربوا عامة ، وبنفس الوقت ينبض فلك الاحساس بنغمة حزن دفين ، وخاصة عندما يتعرض للخلافات داخل الدولة العربية والتي ادت ، بين مجسوة من العوامل المركبة الى ضياع الاندلس . ولكن فاضل خلف يعيد اليها بكثير من التشديد والالاحاق قضية اساسية ، وهي اذا كانت الاندلس قد فقدت ، فان الدور الحضاري العربي في اوربوا ، انطلقاً من الاندلس ، يجب الا يضع ، بل ينبغي ان يظل احد اشد اعمدة التراث العربي رسوخاً وجمالاً .

والمعال الثاني ، هو ان المؤلف قضى خمسة عشر عاماً في الاندلس ، او بجوارها ، كديبلوماسي في سفارة دولة الكويت لدى تونس . وهذا الالتصاق المادي جاء ليدعم كثيراً ذلك التوجه العاطفي والروحاني مع الاندلس وحضارتها العربية .

يفتتح المؤلف حديثه عن الاندلس بالابيات المشهورة لابن البقاء صالح بن شريف الرندي :

كل شيء اذا ما تم نقصان

فلا يفر طبيب العيش انسان

هي الامور كما شاهدتها دول

من سره زمن ساعته ازمأن

جميل ذلك العنوان الذي اختاره فاضل خلف لكتابه . فالسياحات عصرية الرنين في اذان الكثيرين ، وخاصة من ابناء هذا الجيل الذي عقد حياته على نحو أصبحت فيه عوامل الضغط النفسي اشد قسوة وارهاقاً من عوامل الضغط التاريخية التي عرفت االاجيال السابقة . وغدت السياحة احدى الوسائل للهروب ، على نحو او اخر ، من هذه العوامل . وربما يكون من ابرز سياحات هذا العصر — كما يقول الروائي الكبير « جون شتابنيك » في كتاب تأملاته « رحلات مع تشارلي » — ان كل انسان يريد ان يسانى ، الى اين وكيف ؟ ومتى ؟ فليس ذلك مهما . المهم ان يخرج من المكان . وفاضل خلف في سياحاته الفكرية لا يخرج من المكان فقط ، بل يعبر حدود الزمان ايضاً ، من ضفاف الخليج وجزر البحرين الى شمال اوربوا ، ومن المعري الى اينشتاين . واذا كان السائح لا يملك ان يغير معالم الطريق فهو على الاقل حر في الغالب بتحديد الامكنة التي يتوقف عندها ، ليلتقط لها صورة ، او ليكتب عنها خاطرة ، او لينظم من وحيها قصيدة . ومحطات فاضل خلف في الزمان والمكان ، جذيرة . وما كتبه عنها ، نظرة جديدة فيها العنصر الموضوعي الذي ينقل معلومات وتفاصيل بدقة وامانة . وفيها الشخصي ، حيث يتف الكتاب بجرا ليعلم راباً جديداً قد يختلف مع الآراء السابقة . والشواهد التي يتف عندها فاضل خلف مبعثرة في مساحات الزمان ومساحات المكان على حد سواء . بيد ان الوقوف في مكانين لهما دور كبير في تاريخ الحضارة العربية ، الجزيرة العربية ، والاندلس ، هو اكثر ما يحتل كتاب « سياحات فكرية » .

والمؤلف بحكم عاملين اثراً مباشرة في تكريس اهتمام كبير بالاندلس والتاريخ العربي في ذلك الفردوس المفقود ، يخصص جزءاً كبيراً في كتابه لاشبيلية او

وفي نثره ، وتنبت اشعاره برنين موسيقي اصيل الوقع وكبير التأثير . ويقدم خلال حديثه عن هذا الشاعر بعض المختارات من الابيات الشعرية ، وخاصة من تصديده الشهيرة : —

يا ابنة الحسن قد عشقتك صوتا

يتهادى على جناح الاثيم

انا اصفي اليك في كلة الليل

كأني في عالم مسحور

لم اكن قبل ذلك الصوت ادرى

ان في الارض كل هذا السرور

والقصيدة مجموعة من المقطوعات تروي حكاية عاشق كان مولها بفتاة دون ان يراها ، تعيش في احلامه ، ويسمع صوتها فقط ، ثم يلتقيها من بعيد ، وبعد ان يراها ينظم مقطوعة اخرى :

يا ابنة الحسن عشت احوالك لحنا

فاذا انت فتنة للرائي

نهلت من جمالك الممين ما كانت

به الاذن — قبلها — في ارتواء

وتصادف ان يجنح الحب بمعشوقته ويتعارفان ، فينظم مقطوعة اخرى :

يا ابنة الحسن كم تسالتي عيناك

من هذه التي اهوها

كيف افضي بالسروهي قريب

منك تصغي الى حديثي انتبهاها

اما الشاعر الاخر الذي يتوقف عند شعره المؤلف فهو محمد سعيد المسلم ، وهو شاعر من التظليل ، ويروي فاضل خلف بعض الذكريات اللطيفة مع هذا الشاعر .

وغير ذلك ، فان « سياحات فكرية » تكشف بعدا اخر في ثقافة المؤلف من خلال تأملات في ادب « جوزيف كونراد » ، و « اليزابيث براوننغ » و « عبقريه «آينشتاين» هذا البعد العالمي جاء غريبا في الحقيقة عن الروح العابرة التي سادت كتاب « سياحات فكرية » . لكن منذ البداية قلنا ان السامع لا يتوقف عند محلة واحدة ، والا يصبح مسافرا ذا غرض محدد . اما كتاب فاضل خلف فهو في الحقيقة تأملات وذكريات مع عدد كبير من الاعلام الخالدين في ميادين الشعر والادب .

وهذه الدار لا تبقي على احد

ولا يدوم على حال لها شان

فاسأل بالنسبة ما شان مرسية

واين شاطية ام اين جيبان

واين قرطبة دار العلوم فكم

من عالم قد سما فيها له شان

واين حمص وما تحويه من نزه

ونهرها المخبئ فياض وملآن

وعندما يروي فاضل خلف اول لقاء بينه وبين الاندلس ، نجده يتغنى باعتزاز ونشوة تنضج بشوق ولهفة العشاق ، وتطفر احساسه بجمالية رومانسية يرسم من خلالها لوحة بدعية مترابطة اللون والخط والايحاء العاطفي من خلال الاسقاط التاريخي الذي يعطيه المؤلف لهذه الاطلالة الاولى « وما كاد المصبح يتنفس ، حتى رايت اجمل منظر ، واروعه ، رايت امامي جبال الاندلس وسهولها ووديانها الجميلة الخضراء ، ورايت بعيدا هناك ، وعلى مدى البحر ، جبال مدينة « سبتة » التي عبر منها العرب الى الاندلس بقيادة طارق بن زياد ، فكان عبورهم اروع مهمة خطها التاريخ ، وتفتت بها الاجيال . ورايت قبل كل شيء جبل طارق كالاسد الرابض بتاجه الاراضي الاندلسية وذيله نحو البحر » .

كانت تلك هي الاطلالة الاولى التي بدا بها المؤلف جولة عبر معالم الاندلس ، لكن المؤلف لا يقف عند الذكريات والتغني بالامجاد في جولته في تلك الربوع ، بل يواصل رحلته عبر تاريخ الاندلس وعبر الادب الاندلسي ، فتذكر جوانب هامة من حياة ابن زيدون وشعره ، والمعتد بن عباد حاكم الشبيلية وادبه ، واحمد بن محمد المقرئ وكتابه « نفع الطبيب من فغن الاندلس الرطيب » ، وقد حفلت كل تلك الذكريات بشواهد شعرية عذبة احسن اختيارها الشاعر فاضل خلف .

اما الجانب الاخر في « سياحات فكرية » فهو دراسة عدد من الشعراء في الخليج وهذا الجزء — من الكتاب يتحدث المؤلف فيه عن شعراء خليجيين معاصرين ربما كان القارئ العربي في غير الخليج والجزيرة لا يعرف عنهم الا القليل .

عن الشاعر البحريني ابراهيم العريض ، يقول فاضل خلف : ان العريض شاعر حساس رقيق في شعره

تلخيص كتاب



البيوتري الطبيعي والمعاصر

http://Archivebeta.Sakip.com

بقلم: بيوتركيه
ترجمة: لطيف م. دمياطي

- القسم الأول -

«أوروبا» كيف يحاول بيوتركيه أن يكتب كتاشر . فهو يعرض في بساطة انطباعاته في مستهل حياته الفكرية . ويطلق أحيانا في وصف المناظر الطبيعية ، كما يصدق في تحليل الشخصيات التي التقى بها وكثيرا ما نراه يبدي اهتماما خاصا بالنساء ، ولا سيما بأمة التي مانت وهي شابة مخلفة له صورة رائعة من جبالها وحسن سجاياها كان يناجيها دائما في غزل رقيق .
وهو يركز فكرته من وراء هذا كله في شيء واحد ملك له واستولى على مشاعره ، وهو حب وطنه الذي تحول

بيوتركيه مواطن من أناتلي ، وهي قومية صغيرة في أقصى شرق الاتحاد السوفييتي يبلغ عدد افرادها ١٠٠٠٠ نسمة .
ولد في عام ١٩٣٦ على ضفاف نهر كبير في تلك المنطقة يسمى «أمور» وفي عام ١٩٦٦ مضى يكمل دراساته في كلية الفلسفة بجامعة ليننجراد ، على ضفاف نهر نيفا . وقد كتب شعرا كان ينشره في صحف ليننجراد أما هنا فإنه يقدم لنا أول إنتاجه من النثر .
وسنرى في هذه الصفحات التي نشرتها مجلة

كنا في سن واحدة ، غير انه لم يستطع ان يساير صفه في المدرسة ، فتركها قبل فترة . ومع انه كان اضخمنا جسما فانه كان ابطأنا فهما ، او هكذا بدا لي . على كل حال كان له بعض العذر ، فقد كان اعسر . وسألته : الديك خرطوش ؟ فابدى اشارة بأصابعه فهبت منها ان في حوزته ثلاثا .

ولم اصدقها ، ولكنني سألته : وكيف تقسميها بيننا ؟ فقال في اعتزاز : ولم تفعل ؟ فالبنديقية ملكي وكذلك الخرطوشات .

وكان صادقا . فقدت اهتمامي بالامر ، ثم اخرجت من جبتي نبله صغيرة وبعض الحصى . ومضينا نخترق حدائق زرعت خضرا ، وتسورنا حاجزا ، فاذا بنا سريعا في قلب الغابة . وصاح طائر الوقواق ، وكان في صوته ربح « ناناي » فلناي بالشوق والحنين . وكان يسري في احساسي في نفس الوقت تيار قوي من السرور . ورفعت قدمي ثم تحيرت اين اضعها : اتوق الاوراق الجافة ام فوق البقع الندية : اي الموضعين يشعرنني بسرور اقوي ؟ ووبت اشجار القيقب خضراء ، وقد اخذت زهور تنفتح ، بينما كانت تثبت روائح شذية من اشجار الباتولا . وفي كل بقعة كان العشب يوجد بطريقة في الارض العارية .

كانت اشعة الشمس تقع رقيقة على وجهي وتلها عيني بالنور . ومن وراء الغابات السنجابية اللون كانت اعادة البرق تثبت دالها في خطي سريعة ، فبغت لي كما لو كانت اخصا يدلفون من خلال الغابات ويد الواحد منهم في يد الاخر ... هكذا من مدينة الى مدينة ، ومن جبل الى جبل . فاذا نظرت الى مدى كاف على طول الخط المتراجع غربا استطعت ان نرى موسكو ! المضيق حدقتي ... موسكو ! انها تبدو كالالوان المثيرة في منظر عاكس ... انها تضحك وتضفي في شعلة متوهجة من الاضواء .

« كوشكا ، ليس ، فودا — دغل ، غابة ، ماء » ... هكذا كنت استطعم الكلمات الروسية ، وقد بدا لي كما لو كنت بدأت افكر بالروسية ! ... ولكن من هو ذلك الذي يبدو هناك ؟ انه اندريه نفسه ، غالي اين نحن ذاهبان اذن ؟ بلسى الى تل — البقعة القريبة ، فلان نذهب الى ابيد من ذلك . اخذت انقل النظر بين رؤوس الاشجار الخضراء والكتل المحمرة من الدغال . وكان التراب يغير كل شيء في الغابة ، غير ان الارض كانت لا تزال طرية من اثر الجليد . وسألت نفسي : ماذا هناك غير ذلك لاغكر فيه ؟

الى حب روسيا بأجمعها في متابعة لتطور البيئة والتفاته وتطوره هو نفسه بانكاره ومشاعره . ولكن لا يملك ان يفت بين الفينة والفينة مفسائلا عن سر الوجود ومعنى الحياة . وقد يسبح في خياله في متابعة لما تجلى له من صور فكرية فيخرج عن نطاق الفلسفة المسادية التي احاطت ببيئته ليتكلم بأسلوب روحاني ناهس فيه ايمانه بوحدة الوجود وشعوره بوجود قوى خفية عظيمة من وراء هذا المظهر المادي المحدود .

وهو في كتابته ينتقل من موضع الى اخر بغير مقدمات . فبينما هو يتكلم عن البيت الصغير الذي نشأ فيه اذا به يتكلم عن الجامعة التي التحق بها ، ليعود فيتكلم عن قريته المنعزلة ، ثم عن النجوم التي تترأى له في بعدها السحيق . فكأنها هو في ذلك طائر ينتقل من شجرة الى شجرة ، ليفني كلها هزه الشوق بغير ان يلتزم طريقة او يحدد غاية . انه في ذلك يعبر عن العنوان الذي وضعه لقصته .

استهلال

استيقظت مبكرا . فثسمرت بجو من الحرية يسري في احساسي ويتجاوب من كل شيء حولي ، كما لو كان الجليد قد بدا يذوب ، وان كان في الحقيقة قد ذاب قبل وقت في نهر « امور » .

كنت قد قمت مع جدي بالتجديف فوق النهر . وعندما كان الزورق يهتز تحت قدمي بعد جهود استمر طوال الشتاء كنت اشعر بنشوة غريبة ، كما لو كنت اخطو بقدمي فوق الماء .

وحينما خرجت بعد ان ارتديت ملابس سميت « دني » تناديني من نافذة المطبخ ، فرددت عليها بالروسية قائلا انني ذاهب لاصطاد .

— أولا يؤخرك ذلك عن المدرسة ؟

وتلفت حولي في دهشة . فمن هي التي تناديني ؟ لقد خلطنا ابي « انيا » ! كلا ، فقد تبينت بعد لحظة انها دني ... جدتي دني .

ورددت عليها قائلا : كلا .

كانت عصافير السنوتو تتهاوى في طياتها فوق الماء ، ثم تعود لترتفع متجهة الى اليابسة . وعلى الشاطئ البعيد كانت اشجار الصفصاف تبدو خضراء بائعة ، بينما كانت المروج تمتد من ورائها في صفرة ذهبية ساحرة .

وانتهجت صوب اندريه ، فقد كان في انتظارني . وكان يجلس فوق ريوه صغيرة امام منزله . وحالما اقتربت منه رايتنه يحمل بندقيته صيد فوق ركبتيه وينظر الي كالبحارم .

وسألته : ماذا بك ، او نائم انت ؟

فرد في بلادة : ربما .

كم كان اندريه غيبا بخرطوشاته الثلاث ؟ لقد ظن اني سأحزن ، فقدم الي خرطوشتين ، ولكنه عبأ الطلقة الاولى لنفسه . ولم اكن اقل اهتماما .
ولكسنا فوق جذعين قديمين تنصل بيننا مسافة . وفي تلك اللحظة دوى في الغابة صفير قطار يمر قريبا .
نقلت على الفور : حان وقت رجوعي .

وبدا الامتناعش على وجه اندريه وهو يقول :

— اتسمى هذه رحلة صيد ؟

فقلت : لقد كانت تجربة على كل حال .

والواقع انني شعرت بحزن له ، فليس ممن المستحسن أن يترك شخص بفرده في غابة كبيرة .
وصاح اندريه في امتعاش مفاجيء : « تعال ، انها لا ثلاث خرطوشات بل ثلاثة صناديق كاملة ! بلى ، فلدي ثلاثة صناديق من الخرطوش ، اى مائة وخمسون خرطوشة ... اتسع ؟

فقلت وأنا ابتعد : ما اعظم حظك !

وبقي اندريه وحده بين الاوراق المعفرة تحت جذوع البلوط القاذبة وهو شيء لا استطيع فعله . وعدوت صوب المدرسة وقد ابطل حداثي الطويل . وكنت ارتجف كلما فكرت في اندريه . لقد تركته فبقى وحده يواجه مصيره ... لقد ولد المسكين اعسر ، فما هو خطؤه في ذلك ؟ ولم تضحك منه ! ... او ربما كنت افكر في ابي « اثيا » التي ماتت في ريعان صباهها ، او في ابي « بولو » الذي لحق بها . فحينها وجد المسكين نفسه وحيدا في هذا العالم تناول بنديقة واطلق الرصاص على نفسه .

وصلت الى المدرسة ، فحينتي « لينا » بهذا السؤال :

— فليب ، احقا هناك حريق ؟

فاجبت في دهشة : كلا ، فليس هناك حريق .

— ولكن الا ترى الدخان ؟

وكان هناك فعلا سحابة من الدخان اتمعقت فوق اشجار الغابة ، في الاجزاء المستصلحة منها . وربما كان اندريه هو التسبب . وكان من العادة أن تحدث مثل هذه الحرائق في فصل الربيع .

وقلت في هدوء : بلى ، هناك حريق . ثم سألتها :

ولكن اين ذهب الباقون ؟

— لقد ذهبوا لاستقبال السفينة .

قالت ذلك ونظرت الي في اهتمام . فقلت :

— وانت ، لم لم تذهبي معهم ؟

— انني اليوم وكيلة المدرسة .

كان الهدوء يسود المكان وكان الضوء يشع من

جنباته ، كما يحدث في ايام الربيع . واخذت لينا تفتش في حقبتها فسألتها باي لغة تفكر . بالروسية ام بالثانية . ولم تحر جوابا بل ارسلت نظرة في انفضاء ثم عادت تفتش في حقبتها . واخيرا اخرجت حزمة من بطاقات البريد المصورة والقها امامي .

كانت قد شغلت من قبل بجمع صفحتي على صور جميلة ، ثم جاء دور جمع البطاقات . وكان لها أخ صيدلي يعيش في ليننجراد فكان يبعث اليها ما يراه جيلا مثيرا .

كنا نجلس معا في ليالي الشتاء ، حيث كانت الدفأة البيضاء ترسل زفيرا حارا وكان الراديو ينقل اليينا احاديثه في هدوء ، فلا يعكر صفو هذا الهدوء الا ازين شاحنة تسير على الطريق القريب ، تكشف اضاءه مصابيحها مجاهل الثلوج ، لتعود فتعكس على زجاج نوافذ المنزل ... في تلك اللحظات كان طبيب لي ان اشاهد تلك البطاقات الجميلة ، بشرط أن تكون لينسا بجانبني .

وحتى لو كانت مشغولة بشيء آخر ، كفصل الاطباي او الدبابة ، كنت الح عليها بترك ذلك ، لنستمتع سويا بمشاهدة تلك الصور الجميلة .

بعض الصور كان بسيط مالوفا ، نسخ عن اعمال فنانين مشهورين . كصورة الخريف السذهبي للرسام « لينفان » ، وهي صورة لها عندي أهمية خاصة . فحينها كنت اتوغل في الغابة ، للصيد او للبحث عن العنكب البري ، كنت اتف احيانا مأخوذا بمشاهد رايت لها انمكاسا في تلك الصورة : مشهد المياه التي انتشرت في اعناق الغابة ، واشجار البانولا الذهبية في المروج التي امتدت على شواطئ تلك المياه ، وحتى السحب البيضاء البعيدة كانت تبدو دائما في نفس المكان ، كما جاءت في الصورة . وثمة صورة للرسام « شيشكين » جعلتني اعتقد أنه كان ايضا فنانا محبوبا . لها صورة « فاستنوف » ، وموضوعها « فارس على مفتقر الطرق » ، فقد ذكرني بروسيا في الزمان القديمة . لقد عشت هناك يوما أنا نفسي . بل انني كنت ذلك الفارس الطويل الجسور !

وناديتني لينا :

— هنا يا فليب ! ... انظر الى هذه .

ثم التفت الي بصورة وحملت النافوس وجرت الى الخارج .

وتناولت صورة « ميليه » للرسام « جليتز » ، فأخذت بها فيها من براعة تجلت في مشهد ثلاث نساء عاريات ظهن في حقل جرده الخريف . ترى اهنك ما هو اجمل وتعا في الشعور الانساني من مشاهد الطبيعة في ساطلتها وظهرها وبراعتها وتسابيحها ؟

كنت دائما اشعر بحساس كلها كان هناك تلوع
لعمل ما للصالح العام . فتناولت كيسا وعقدت طرفي
أحد جوانبه ثم وضعت فوق راسي اللوqاية . وكنا نفعل
ذلك كلها خرغا في المطر . ثم مشيت بجانب لينا ،
وكانت قد وضعت هي ايضا كيسا فوق راسها ، كما
فعل جميع الاولاد ، وكانوا قد احضروا معهم الاكياس .
اما الذين حملوا دلاء فقد كانوا فوق رؤوسهم
وامسكوها من اسفل بأيديهم ، فكانت تحدث اصواتا اذا
ما احتكت بفروع الاشجار .

وانكأ واحد بذلوه في الوحل . فسالت من هو ،
وردت لينا « انه صاحبك جوشكا » ، وضكنا جميعا .
وجريت في المقدمة وأنا اوسع طريقي بتفريق الاغصان
المتشابكة ، لأواجه تيارا من الهواء الحار والرخا .
كانت النار تسرى في الاوراق الجافة المختلفة من
العام الماضي وفي العشب الذي اخطو فوقه ، غير ان
اشعة الشمس كانت تحول دون رؤية مواضع النار .
والواقع ان حرارة الشمس كانت حينئذ شديدة حتى
اننا ظننا انها حولت الارض الى جمرات بتوقدة . وكانت
السنة الذهب التي لا ترى تسرى من بقعة الى اخرى
تاركة وراءها خطوطا من الرماد .

وصحبت وأنا اتلفت حولي « الى النار ! فجري
الاولاد مهاجرين كما لو كانوا صفا من الجنود . وتزعت
الكيس من فوق راسي ثم طرحته في حفرة ندية ليلتل
ومضيت بعد ذلك ضارب به السنة النار غير المرئية .
وكان الدخان يتهايد ومعه سحب من الرماد تزيد في
حرارة الجو . وكانت السنة الذهب تلحق في اشجار
الباتولا وتقرض بخفة من شجرة الى أخرى ثم تخفي في
الارض بسرعة مذهلة .

ومضيت الوح بكيسي المبتل في جنون ، ومع ذلك
فقد استطعت ان ارى في وضوح كل ما كان يحدث . كان
الاطفال يندفعون هنا وهناك مقاومين النيران . وكانت
نلال « نوغايا روسا » تبدو في زرقة لؤلؤية . وحانت مني
التفاتة الى لينا فطريتها بانسية في مكافحة النيران بطريقة
لا تختلف عن طريقة باتمة في مخزن تجاري . كانت
تركع مباشرة للقضاء على لسان رائته يندلع ، ثم تهبط
للقضاء على اخر رائته يلحق في شجرة . ومع ذلك فقد
كانت النيران تندلع بصورة مخيفة ، وكانت حرارتها
الشديدة تلحق وجوها بالرغم من بعدنا عنها . وجريت
الى حفرة امتلأت بالماء الاسود فالتقيت بنفسي فيها
وتمرغت لتتسبغ ملابسي بالماء ثم فغرزت لاهاجم النيران
ثانية واتوغل الى قلبها .

لقد علمت حينئذ ماذا يجب ان افعل . لم اكن
استطيع ان احفر الارض لصغر سني ، ومع ذلك فقد
حاولت ان احفر بكل ما لدي من قوة ، متعقب النيران

رايتني انساق في خضم من التفكير . فقد استطيع
يوما ان ارسم صورة لثورتنا يبدو فيها جدى عند
السكان وابدو ممسكا بالمجادلين ، ويكون فيهما
الزورق منسابا من الدخل الضيق الذي تغطيه اشجار
الصمصام الى عرض النهر الواسع . واذا ن يجب ان
يكون فيها منظر للخريف ، تعبر عنه اكوام التتش في
خلفية الصورة واوراق الصمصام الجافة ، طافية على
سطح الماء ، وبهذا تكون الصورة قد كملت .

او ... ومحدث يدي تحت الطاولة حيث بقيت
حقيقتي الصغيرة طول الليلة ، وتناولت كراسة وتلها ،
او لارسم حفلا من البطاطا بعد الحصاد . السيقان
الجافة ، ثمرات البطاطا يتشورها الصفراء . فرعا
يزخر بثمرات اللوت . وهنا تكون الصورة قد كملت .
او ... ووجدتني ائب في الغرفة من غرط ما استولى
علي من سرور . ما ابدعها من فكرة ! وبدا لي فسوق
قماشة الرسم قبر ملاها من اولها من اولها الى اخرها
في اندحار ، وقد ميز بصليب خشبي كبير وصورة لامرأة
شلبية . وبدت السماء كلها قاتمة فوق الغابة . غير ان
الغابة لن تظهر كلها في الصورة ، فقط بعض فسروع
شجر القيقب بأوراقها الذهبية في الخريف . وسيبدو
وجه المرأة الشابة صافيا كما لو كانت تنظر من نهاية
طريق طويل . وسيكون وجهها نقطة تجمع الفسوء في
الصورة كلها ، وسيكون فيه كثير من الانطباع الذي
يوحي بان صاحبته شابة في قمة مصفولة مديدة ذات
جمال وسحر وسيبدو في عينيها وميض يبيء براجمها
السوداوي الحزين . هذا القبر هو قبر أبي انيا ...
وارتفع صوت صفارة الباخرة ثلاث مرات قصيرة ،
معلنا خروجها من الرفا . وارتفع في نفس الوقت صوت
ناقوس لينا ، وكان يجلجل في بدعا بيننا هي تجرى على
طول الشاطئ . وبعد ان اقبل الاولاد مسرعين
للافتاح عادت بهم صوب المدرسة وهي تواصل قرع
الناقوس على تقرب في ارتفاع ، واخيرا دفعت الباب
فانفتح على مصراعيه . ليلال الصوت كل المكان الذي
كان خاليا .

وقالت لينا في حيوية : فيليب ، اعتقد انه لن يكون
هناك دروس اليوم . فقد سمعت من اتدريه ان النيران
قد وصلت من قبل الى المستنقعات .
ما ابدعه من منظر ! لقد نظرنا من النافذة فرائينا
الغابة قد توجت بسحب من الدخان ، غير انها كانت
لا تزال خفيفة . على كل حال جاء « كولا نيكولا بنفش »
ليخبرنا ان الدراسة قد عطلت اليوم ، ليستطيع الجميع
ان يتوجهوا لمساعدة رجال الاطفاء . فهنئنا جميعا
« مرحى ! » ، ثم اندفعنا الى الخارج مختبطين بعضنا
في بعض .



وفتحت الحياة من الارض في طنين النحل وحفيف اوراق الزيزفون !

وددت لو انني مشيت معها في هذه الصورة الى الابد !

الام بيتش الجامعة الرئيسي قام كشك زجاجي لبيع الصحف ازدانت واجهته بعدد منها في شتى الالوان . وعلى شاطئه نهر « نيفا » قامت حواجز من الجرانيت جلس فوقها كثير من الشبان ، كما انتشروا حول الكشك . كان صافيا ، كما يحدث عقب هطول المطر ، وكانت النساء تبدو في زرقة باهتة وقد تناثرت فيها سحب ثلجية بيضاء .

وهناك ، في أعلى المدينة ، عند أقصى نقطة في طرف « برج الاميرالية » المستطيل في دقة ، كان ينساب زورق ذهبي في أقصى سرعته ، بعد ان فرد اشرعته . وتنهدت في هدوء وأنا أقول لنفسي : ايمكن ان يكون هذا صحيحا ؟

هل أنا حقا هنا للاتحاق بالجامعة ؟

شغلت طول الوقت بملء طلب الالتحاق وتدوين كشف بالمواد التي اخترتها . وبعد ان قدمت الاوراق للخصيص انتابني موجة من احاسيس الطفولة . ولكن اكنث وحدي الذي شعر بمثل هذا الحنين ؟ اليس من الجائز ان يكون من هؤلاء الشبان الذين جاءوا من مناطق مختلفة قد عاد يفكر في ايام طفولته في هذه اللحظة ؟

لاطفالها . كان الغضب يخفزني الى مواصلة الحفر ، مضيت احفر حتى اصابني الاعياء ، ومع ذلك لم اكف . وقال الناس من حولنا « يا له من ولد كبير ! ... لا شك في انه سيصبح عاملا قويا » .

وكان معنا كولا نيكولا يفنش ، تعب ايضا كما تعبنا وغطاه السواد كما غطانا . فقال اننا قمنا بواجبنا كما يرام . وكنا قد تجمعنا حوله على حافة المستنقع . وكانت اينا هي الوحيدة التي وقفت بيننا كعادتها ، نظيفة ثابتة النظرة . وكانت قد وجدت وقتا لتغسل وجهها في ماء المستنقع الصافي ومع انها لم تكن ضاحكة فقد كانت هادئة ، وقد بدا الاجهاد على وجهها فاكسبه رقة حزينة . غير ان اساريرها كانت تنبئ بانها تشعر بسعادة وكان هذا شعوري ايضا وصحت بهما :

— لينا ، لنعدتوا الى المنزل !

فقال : هيا . ثم التفت بكيسها الى بنت أخرى تدعى ناتاشا ، وكانت قد طبقت في عناية . اما كيسى فقد كان لا يصلح لشيء ، فآلقته جانبها وتبعتهما ، مخترقين فتحات قامت على جانبيها اعمدة البرق .

سارت لينا امامي وسرت من خلفها ، انظر اليها وافكر فيها . فقد كان يطيب لي دائما ان اعمل ذلك ، كما كنت احب ان اتجول في الغابة في وقت الربيع ، او اعكف على قراءة كتاب اجد فيه متعة . وكنت كلما فكرت في لينا احس « شعورا غامضا » يستولي علي . فيسري في نفسي سرور غريب يشوبه شيء من الملل والتفلسف الصبر . كان هذا ما استطعت فيها بعد ان اسميه « وبض الرغبة » . ولكن ما هو كنه هذا الشيء ؟ ليس ثمة جواب !

في نفسي سرور غريب يشوبه شيء من الملل والتفلسف الصبر . كان هذا ما استطعت فيها بعد ان اسميه « وبض الرغبة » . ولكن ما هو كنه هذا الشيء ؟ ليس ثمة جواب !

فقد يحدث ان تكون جالسا في الفصل ، وقد يكون الاستاذ غير المعلم الذي تفضله . ولكن سواء كان الوقت ربيعا او خريفا ، وسواء كانت الفكرة التي سيطرت عليك اغنية غير مبسووعة جاءتك من السماء ، او رشاشا من افكار الارضية التي تغرقنا باستمرار ، فان النافوس يفرع في النهاية ، وحينئذ يشعر كل واحد بوخزة من الاسف . فقد كنا جميعا مستغرقين في نوع من الرضاء . وهذا كل شيء .

كنا نمشي هكذا ، فكانت اعمدة البرق تبدو متراجعة من ورائنا في خط مستقيم بلا نهاية . وبدت لي الاعمدة التي الهبتها حرارة الشمس كأنها امتدت صفوفها على طول امتداد روسيا ، وكانت دائمة الطنين . فوددت لو ان لينا ظلت تمشي امامي واسير من خلفها ، وتلال نوبارا روسا تتلالا في زرقتها والغابة المورقة في الربيع تزداد خضرة وتكتل ازدهارا ، بينما تغني الطليور

الذكرى ، فتصورت نفسي ثانية هناك ... في بيتنا الصغير الذي بدا لي كنيبا موحشا . ورايت جدتي دنى ، كما رايت جدي ، وقد بدا لي كما لو كان أصبح فجأة أكبر سنا . كنت قد رايت في ساعة مبكرة من الصباح الذي رحلت به . وكان يسير على الشاطئ في شروء ، وقد بدا ضئيل الحجم في حذائه الطويل . كان قد دفع الزورق في النهر ، فآخذ يتأرجح بشدة وكاد ان يفلت من يديه . وكانت جدتي تتحدث اليه ، وقد بدت لي هسى الأخرى ضئيلة الجسم في ثوبها الساذج المصنوع بأيدي مواطنينا .

ابدى جدي حركة تدل على اليأس ثم جلس في الزورق . كان يريد ان يذهب لجمع الشباك التي نصبها في المساء ، غير ان الزورق انساب بسرعة في التيار . فكان عليه ان يستعمل حنكته ، وقد اخذ يجحف بخفة ، محاولا ان يتجه بالزورق الى حيث يريد .

أما جدتي فقد كانت مخنئة فوق الحاجز الحجري تحاول ملء دلو ، ثم استقامت وأخذت ترسل بصرها فوق صفحة النهر قبل ان تقفل راجعة وفي يدها الدلو ممتلئا وفي الأخرى حزمة من الحطب .

كان الجو هادئا وضيئا ، كما يكون في اوقات الصباح الباكرة ، غير ان الماء من بعيد كان يبدو مظلما مخيفا تحت اشجار الصفصاف فوق الشاطئ الآخر ، والواقع ان كل يخاف الطفولة ، وما كنت أشعر به من خلل منذ ان اضطرمت في الشهوة لأول مرة ، كل هذا كان يكمن في تلك الاغلال المظلمة والمياه الخفية التي ترقد تحتها . وحينما تيقنت انني على وشك الرحيل شعرت بسعادة كبيرة لانني سأتارك تلك الادغال والمياه المخيفة ومعها مخاوفي وخجلي الى الابد .

ثم تتراءى لي صورة أخرى سارة . فما هي « ايفيجينيا بوريزوفا » تسير على شاطئ النهر في لباس بحر فائن ومنديل مذهب . ويبدو انها تزيىد الاستحمام . ايفيجينيا شابة روسية جميلة تعلم الادب واللغة الروسية . والحقيقة انها لم تكن مدرستي بل كانت تقيم في بيتنا فقط . فقد جاءت الى قريتنا « اوريون » بينما كنت اناهب للذهاب الى « نوافيا روسا » للاتحاق بالمدرسة هناك . واختارت ان تعيش في بيتنا ، بل انها اخارت نفس الغرفة انني كنت مخصصة لامي . وكان بيت جدي احسن البيوت في اوريون ، فقد كان به نوافذ كثيرة منقوشة ، وكان يطل على النهر . وكما كانت نوافيا روسا تقع على نهر امور كذلك كانت قريتنا تقع على أحد فروعه .

الجو حول نهر امور يبدو غريبا . فهو يترأى اقرب الى الزرقا اذا ابتعد الناظر قليلا . وكذلك تبدو الغابة ، كما تبدو تلال نوافيا روسا . فاذا كان الوقت

ريما كانوا جميعا لا يزالون يشعرون من وراء ظهورهم باغنيات الطفولة وضحكاتها وبكائها يفرق ضجيج المدينة . ان الشباب ينادينا ، وهو يدفئنا قديما ، غير ان الطفولة لا تتركنا ، فهي تتعلق بنا كما يتعلق الصغير بأخيه الأكبر ، وبذلك لا نستطيع الا ان نعود فننظر الى الوراء ، حتى لو لم نرغب في ذلك .

شعرت بشيء من الشجاعة عندما رايت ان اوراتي قبلت بسهولة . وحالما انتهى الامر عبرت الجسر متجها الى مساكن الطلبة . وهناك قدما الى ملابس للنوم . ولم يكن هذا جديدا علي ، فقد سبق ان عشت في القسم الداخلي بمدرسة نوافيا روسا .

تركت المكان وخرجت للبحث عن « نقطة اشعة اكس » في جزيرة فاسيليفسكايا ، ولم يصعب علي الا اعتناء انيها . وكانت امني انيا قد ماتت متأثرة بالدرن الرئوي فسيب لي هذا عقدة خوف من اجهزة الاشعة . وبعد ان تقدمت للفحص عدت الى المساكن ، غير انني لم احمل البرودة في الداخل ، فخرجت ثانية الى الشارع اتلمس الدفء في اشعة الشمس . وحينما جلست على كرسي الحلاقة القيت نظرة على المرأة ايامي ، فاذا بشخص غريب الشكل ينظر الي . ولم اشك في انه انا . واخذت الحلاقة تعمل مقصها في شعري فكانت ضرباته لا تكاد تهس . فلم يسعني الا ان اغضض عيني بمسد ان غلبني التعاس . وسمعت المرأة تهس : افتح عينيك ! هل ترى كل شيء على ما يرام . فقلت شكرا لك ، ثم نظرت وانصرفت .

ذهبت الى الفراش مبكرا ، ولم اكد اضع راسي على الوسادة حتى بدأت اسمع ثائية ضربات عجلات القطار يتجاوب معها صدى القضبان وما بينها من حصى . لم ادر ما اذا كان ذلك في المنام ام في اليقظة . وكنت ارى الطرق وقد غطتها الاحوال وانعد فوقها الغبار . وكانت القرى العديدة تبرز امامنا واحدة بعد أخرى ، وقد وقف بعض اهلها ينظرون في فضول الى القطار الذي كان يسرع لي ويسرع ... ولكن الى اين ؟ صحوحت على صوت الطيور تتناغي تحت النافذة ، وكانت الشمس تملأ الغرفة ، وقد بلغت الساعة السابعة . كنا اربعة اشخاص : اثنين من اوزبكستان واخر يدعى ادليج ميرولييوف وانا . وقد وصل الاولان قبل ايام ، وجاءا لدراسة الاقتصاد . اما ميرولييوف وانا فقد وصلنا في اليوم السابق ، وعزم كل منا على الالتحاق بكلية الفلسفة .

خرجت اتجول على شاطئ نهر نيفا . وكانت العصفائر تغرد ، وقد بدا الشاطئ متألنا بها نثار عليه من زجاج محطم واصداق مختلفة . وهنا عاودتني

عقب سقوط المطر بدت تلك الجبال مغرقة في الزرقة وفي تلك الحالة تبدو قريبة جدا حتى لي تصور المرء انه يستطيع لمسها لو مد ذراعه .

لقد بنى جدي بيته في الثلاثينات ، وهو الوقت الذي حدثت فيه تغيرات أساسية في هذه المنطقة ، فحتى اللغة حدث فيها تغيير كبير . والواقع انني لم اعد اذكر من الكلمات التي كانت مستعملة هنا الا مفردات قليلة . كلمة « ستوبيشي » مثلا ، وتعني مخيم رحالة ، وكلمة « مازانكا » وتعني كوخ من اللبن . هناك الآن « مازانكا » واحد في اوروين يعيش فيه رجل اعرج هو الكاهن ، او « الكندري » بلغتنا القديمة ، ولم أر من هو اشد منه غمرا . والواقع انني لا اكاد اصدق ان الكهنة كانوا يوما اقوى الناس واغناهم في قرانا . وحتى مدة قريبة كان الكاهن لا يزال يشعوى في مقدرة وتوفد . غير ان المعازل من النساء قد انقرضت تباعا ، فبقى لا يجد ما يفعله ، الا ان ينتظر حتى يأتي بعض المصورين للالتقاط صور له تباع للهواة ، اما بالنسبة اليها نحن الشباب فقد اصبح امحوكا !

لم يبق شيء من آثار تلك الحياة ما عدا « سوسو » وهو موقع لقرية مهجورة مات أهلها بداء الجدري . هذا الموضع فجوة بين اشجار الغابة على شاطئ النهر بالقرب من قريتنا ، لم يبق فيه شيء سواي الرميل والحصى وشظايا من حطام الخرف تفتقر هنا وهناك مختلطة بها جف وتساقط من ورق الاشجار ؛ في ذلك المكان عاش من قبل بعض الناس لم يكن هناك مخلوق ولا اسوار ولا كنائس ولا اسلاك شائكة ... لم يكن هناك شيء من ذلك كله ! فقط كنا نمر في الرمل احيانا على بعض العقود ، عقود صفراء في زرقة يتخللها بياض . من أين جاءت ؟ كنت دائما اشعر بتأثير غامض كلما مررت بتلك البقعة . فاذا اضطررتي الظروف الى المرور بها ليلا في الزورق كنت اجدف بقوة لئلا بد في وسط النهر ، ولم اكن اجسرؤ على الالتفات الى « سوسو » ، فقد كنت اخاف جدا من تلك الفجوة الصفراء بين اشجار الغابة السوداء .

وكنا نمر احيانا على عقود مائلة حينها نخرج لصيد السمك الصغير من تجاويف جذوع اشجار البلوط المتبقية ، وكانت هذه العقود مخيفة بالنسبة اليها نحن الصغار على الاخص ، فقد علمونا ان من الخطر الكبير حملها الى المنزل ، لان « اميا » تأتي معها لتحل فيه . لقد علمنا انها كانت عقود « بودين » وهذه قصتها :

في سالف العصر كان هناك فتاة تعيش في ذلك المكان لم يكن بين اترابها من هي اجمل منها ، ولذا سميت « بودين » . وكان هناك ايضا رجل قوي ناجح

يدعى « ميرجن » كان اقدر من غيره في الصيد وببناء الاكواخ ، وفي الحب طبعاً ، ولذا فقد رأت بودين فيه رجلاً نزل من السماء لانه كان في نظرها احسن الرجال ، فاحبته من كل قلبها .

غير ان قوى الشر لم تلبث ان فرقت بينهما ، فقد خرج للصيد يوما ولم يعد . وانقضت مائة عام مات اثنائها الناس وولد آخرون ، غير ان بودين بقيت محتفظة بشبابها وجمالها بقوة حينها لذلك الرجل الذي عزم على انتظار عودته معها طالبت غيبته ، فقد كان من شبيبتها الوفاء .

واخيرا لم تستطع ان تحزم امرها بفعل اغراء الرجل المتواصل ، فاستسلمت لواحد منهم . ولم تثبت الامور ان تغيرت معها ، فقد وضعت مولودا اطلق عليه اسم « توكسا » لانه جاء غير منسوب الى اب ، وقد جاء ضعيفا ، او شاء القدر ان يكون هكذا . ورأت بودين ان طفلها سيكون منبوذا ويلقى سوء المعاملة من الآخرين ، فآثرت ان تنقله راحة به ، وقد فعلت ذلك وهي تبكي . وتحول الطفل الى طائر عاد الى السماء وحط على شجرة ثم اخذ يغني . اما بودين فقد اخفت جثته في تجويف شجرة ودفنت معه عقودها .

وحينما رأت انها فعلت « الخطيئة » مرة لم تعد تائب لشيء . بل استسلمت للقدر ورضيت بالواقع وضعت تصاحب الكبير والصغير . ثم لا تلبث ان توت ، فتبني روحها في تجوال مستمر بحثا عن طفلها . ولما كانت قد نفذت أغريزة الامومة فقد اصبحت ذات جبال لا يقاوم ، ولذلك سميت « اميا » . غير انه كان يكفي ان تلقي نظرة على طفل في مهده ليزوب تماما امام نظر والديه المزومعين . ولم يكن من بين الرجال من يستطيع مقاومة جمالها الطاغى . وكان من ابرز سمات هذا الجمال خيط من الدم القاني ينساب فوق شفتيها الجذابتين .

تحدثت في ارتياح عندما افقت من هذه الذكريات المخيفة . والواقع انني كنت اجاهد منذ وقت طويل للتخلص من مثل هذه الاعراض الخرافية . لذلك كنت اشعر بارتياح كبير حينما رايت نفسي اغادر القرية . اندفعت ايفجينا بوريزوفنا في النهر لنستحم . وحينما خرجت من الماء وضعت فوق عينيها منظرها الاسود الكبير . فلم يعد باديا من وجهها سوى شفتيها ، ثم سارت صوب المنزل . وكانت شفتاها قمرزيتين جذابتين ، كانا تحلان دعوة من الاغراء يسري فيها غموض لذيذ .

كان النهر يبدو كما لو كانت نسجت فوقه خيوط متشابكة لمعنكوت كبير . وكان الشاطئ يبدو لي كما لو كنت لم اره لسنوات عديدة ، بل خيل الي انني لم

المستقبل هي نفسها .

عدت الى اورويون لقضاء اجازة . وقد وصلت في الغسق في احد ايام نوفمبر . ولم يكن هناك احد في المنزل ، فمضيت اكسر بعض الاخشاب للوقود . وحينئذ جاءت ايفجينيا بوريزوفنا ، ولما وقعت عيناها علي قالت على الفور :

— انت هنا يا فيليب ؟ ان « دنى » في البيت المجاور ، ساذهب فوراً لادعوها .
فقلت : ان دنى ستحضر حالاً على كل حال . ولكن كيف حالك انت ؟

— ستحضر حالاً حقاً . ولكنك لا تعمل على تهدئة افكارها ، كما يبدو لي . والا فهل ستقول انك فعلت ؟ ان لم لم تعن بارسال خطاب واحد ، مع انه مضى على غيابك اكثر من شهرين ؟

— ان بيوت الطلبة ليست كالمنازل الخاصة يستطيع المرء فيها ان يفعل ما يشاء . ولقد حصلت على هذه الاجازة بعد تعب شديد . اما الخطابات فانا لا نكتبها الا انما ندر . وماذا نقول فيها ؟

كان الظلام قد بدأ ينتشر ، فدخلنا الى المنزل واتجهنا الى غرفتها ، وهناك اضاعت التور ، ثم ذهبت لتعدي لي وجبة . كانت قد تشربت من عادات نائاي ، واول شيء تفعله في بلدنا اذا ما حل ضيف علينا ان نكلمه بها كان الوقت الذي يصل فيه ، ولو كان منتصف الليل .

وقالت ايفجينيا بعد ان عادت بالطعام :

— فيليب ، اكننت تذكر انني اعيش في بيتكم ؟ ربما اسئرت هذا السؤال . ولكنني اسأل لانني كنت اذكرك . وافكر فيك كثيراً . لقد كنا نتحدث منك كل يوم تقريبا ، وقد علمت الكثير عن احوالك .

— وماذا عن احوالك انت يا ايفجينيا ؟

— طيبة !

قالت ذلك في مرح . والواقع انها لم تكن تريد عني كثيراً في السن ، بل كانت فقط ذكية كعالمية وجبيلة كأمراة .

كانت اجمل اوقاتنا معا تلك التي امضيها في اجازات الشتاء . وقد حدث ان عدت مرة الى القرية على شاحنة ، فلما دخلت الى المنزل رايت شجرة عيد ميلاد في زاوية الغرفة . وقالت « دنى » على الفور :

— ان ايفجينيا هي التي اعدتها .

وكانت الشجرة تتلأل في المكان الذي كان الظلام قد بدأ يكتفنه . ومن خلال النوافذ المفتوحة كانت النجوم تبدو في السماء . وكنا نسبح تحطم الجليد تحت قدمي عابر سبيل يعقبه نباح كلب ارعن .

انني اعلم الان ما هي شجرة عيد الميلاد . انها

أره قط من قبل . ولم يكن هناك سوى اجهزة تقوية الارسال اللاسلكي وبعض العصافير وقطعت تترقق فوق الاسلاك . وكان « صوت روسيا » ينبعث مسبوفاً فوق رأسي ، فدلّني معرفتي القليلة بالروسية على ان العالم من حولي قد تغير منذ امد ، وتغير كثيراً ، وان الحياة التي كانت صورتها محصورة في شخصية جدتي « دنى » قد ثلاثت بالمرّة . وكانت امي « انيا » اول من علمني شيئاً من الحياة الجديدة . وكما كانت الكليات الروسية تأتي حلوة على لساني ! غير انها ماتت ، وقد ماتت وهي لا تزال في ريعان الشباب .

سمعت ايفجينيا بوريزوفنا تخطو في الممر ، فانظرت في لفعة ان اسبح طرقتها على الباب . وفعلنا طرقت ، ثم دخلت وهي تحمل حثيبتها الصغيرة ، والقت بها فوق الفراش .

وقلت مازحاً : ايفجينيا ، هل انت مفاكة من ان هذه الحثيبة « نسائية » ؟

— لم هذا السؤال يا فيليب ؟
— لاتها جيلة مثلك .

فابتسمت . وكنت قد لاحظت ان ما يسرها ان تسمع مثل هذا النقاء على جمالها . وكنا على وشك تناول الطعام ، فاعدت « دنى » لها مكاناً واجلستها لتأكل معنا .

لقد جاءت ايفجينيا الى بلدنا في العام الماضي ، قبل ان اذهب الى « نوفيافا روسا » . وقد ساعدتها في حمل حثايتها الى مكاننا . وفي ذلك الوقت وقفت « دنى » خارج المطبخ واخذت تنظر في حنان الى العلبة الروسية وهي تدخل الى المنزل . لقد احبت ايفجينيا منزلنا ، ومنذ اللحظة الاولى استطاعت ان تكون علسى وفاق مع جدتي . وكنت اسبح ضحكاتها معها قبل ان تخرج الى الشرفة التي خصصناها لها . وكان ممن الطبيعي ان اشعر بهيل نحوها . والواقع انني حاولت حينئذ ان اسرها بشيء ما . فذهبت الى الغابة ومضيت لاجمع شيئاً من العنب البري ثم عدت فقدمته اليها . فلما وقعت عيناها عليه صاحبت في جذل :

— اهناك عنب ينمو في الغابة ؟ وبئسل هذا الحجم ؟ لقد حنيت انني في اقصى الشمال ، ولكن ها اناذي ارى ما يدل على انني في الجنوب ! او لا ترى ذلك يا فيليب ؟

ثم اخذت تسألني عن نشاطي في الدراسة فاخبرتني انه ليس شيئاً ، فعددت تسألني عن المنهج الذي اخترته لدراستي الجامعية . فلما قلت لها انني لما افكر بعد في ذلك بدا عليها الاندهاش . فلم يسعني الا ان احاول توضيح الامر ، فقلت ان الوقت لا يزال متسعاً . فنظرت الي في تفرس كأنها كانت تريد ان ترسم لي خطوط

في مراقبتها . وكانت « دنى » في ذلك الوقت تعدد المائدة ، بينما انتشر الضوء في المكان من الثريات الصغيرة التي تثاررت بين أغصان شجرة عيد الميلاد .

وجلسا معا نطعم من عصيدة ونشرب من نبيذ صنع من عنب نهر أمور . وكانت « دنى » تخطو علينا في عطف وحب . وغمر السرور أفيجينيا فأخذت تهزج بأغنيات للطلاليات ، ثم هبت ترقص ، وقد رقصت منفردة . وكانت دنى تنظر إليها وتبسم في سرور وقد بدا لي أن ذلك لم يكن جديدا عليها . فقد استطلعت أن أدرك أن أفيجينيا كانت تعاني أحيانا من حزن مكتوم . ويبدو أنها كانت تخزن تصورات تحملها على الشعور باليأس فلا تملك إلا الانخراط في البكاء . في تلك الحالة كانت دنى تعدد إلى الشيء الوحيد الذي تستطيع فعله للتخفيف عنها ، فكانت تهب لأعداد وجبة شهية ثم تضي في ملاطفتها حتى تتناول الطعام . فإذا اعتدل مزاج أفيجينيا عادت لتفني وتقص نواذر مضحكة عن أطفال المدرسة ، فكانت دنى تشعر بالسعادة حينها تراها استعادت مرحها . وهكذا كانت حل منها نتجج في السريرة عن الأخرى بطريقها الخاصة !

دقت الساعة معلنة العاشرة ، وهو وقت ذهابي إلى المختبر الطبي . وبعد أن تعرضت للاختبار جات الأوراق تفتي وجود تغيير ظاهر .

وأخيرا عرفت جداول الإمتحانات وما يتعلق بها من نصائح . وكانت المادة الأولى « تاريخ الاقتصاد السوفييتي » ، تجلس بجانب النافذة ومضيت أقلب صفحات الكتاب المقرر . كان اليوم مضيقا ، وإن كان باردا . فلمحت من النافذة زورقا بخاريا ينساب فوق نهر نيفا ساحبا من ورائه طوبعا طويلا . . . نفس الشيء الذي يحدث عندنا فوق نهر أمور .

كانت هناك روايات الخريف . والخريف يبقى بالنسبة إلى الإيد متصلا باستعداداتنا للمدرسة واستعدادات الصيادين لموسم سمك سلیمان . لم يكن هناك سوى طريق واحد في أوريون ، وكان يمتد محاذيا شاطئ النهر ، وعلى جانب منه قامت أعمدة البرق التي كان الصيادون يستخدمون أسلاكها في نشر شبكهم .

عادت بي الذاكرة إلى أيام الطفولة . غرايت نفسي يوم أن كنت في السابعة . . . كنت يومها ضئيل الجسم ضعيف الجهد ، فرأت جدتي أن الاصوب بتائي في المنزل .

« دعوه حتى يكبر قليلا » ، قالت ذلك وهسي منهكة في تنظيف سكة . فرد عليها جدي قائلا :

كفوف دلت من شجرة تنوب تبرز من تحت الثلوج ، ومن ورائها نجوم مضيئة . إنها رمز يأتي في الشتاء مبشرا بها في الصيف من دفء وخضرة . أنا حلم ! لقد رأيت شجر التنوب في الثلوج والنجوم ، وكان هذا المنظر الخيالي تعبيرا عن روسيا . فمساء موسكو كان يضيء هناك شجرة الميلاد . كان شعورنا بالبرد يعني أننا لا نزال بعيدين عن موسكو ، غير أن موسكو كانت موجودة هناك . . . لقد كانت قريبة مني ككلماتي ، بل كأنفاسي !

كانت في النادي . فلما دخلت إليه لم أجد إليها ، بل مضيت انتقل من مكان إلى آخر ، ثم اتجهت إلى المكتبة وأخذت اتصفح الصحف والمجلات لقد كانت حينئذ مشغولة مع الأطفال بينما كان الكبار يلحون عليها بأن تراقصهم ، وكانت البنات أكثر الحاحا .

وسمعت أحدهم يقول لها : إنك اليوم أجمل من كل يوم يا أفيجينيا ! وقال آخر : لم نرك من قبيل ترقصين !

تركت المكتبة واتجهت إليها غرايتها تبسم . وتراجع الأطفال ، فترقصنا معا في شيء من المهارة . واعتقد أنها نسيت حينئذ أنها معلمة وأن تلاميذها يشاهدونها . وكنت انظر إلى البنات الصغيرات فأرى ما في تكوين خصورهن وأطرافهن من قبح فتشتمن نفسي . أما أفيجينيا فكانت تنظر إلى خلسة من تحت أهداب عينيها الطويلة ، وقد أملت عنقها قليلا فكانت تبدو منفصلة عني بينما هي في الحقيقة معي في كل حركة موسيقية ، فكانت أشعر بحرارة جسمها فيسرى في تيار من السعادة من النادر أن أكون شعرت به من قبل !

سطعت النجوم في السماء الزرقاء المظلمة ، وبدا أن الليل قد قارب الانتصاف فما أسرع أن يحل العام الجديد ! واجتذبتني إلى الخارج ، فسرنا فوق ربوات صغيرة من الثلوج المتساقطة . وبدا لي طيفها في ضوء القمر الذي أخذ يبرغ ، فانتحيت جانباً لأنسج لها طريقا . فإذا ما اقتربت مني أبسكت بيدي وصويت نظرها مباشرة إلى عيني . فبدأ لي كما لو كانت تريد أن تقبلي . وهذا غير معقول بالطبع ، غير أن هذه الفكرة غير المعقولة تمن لي بين حين وآخر !

كانت قد خلعت حذاء الرقص ووضعت في حقيبتها ، غير أن « البوت » اللباد الذي لبسته للمشي على الثلج كان لا يقل جمالا . وقالت بعد لحظات :

— بيجل بنا أن نعود إلى البيت .

ثم خطت نحو الباب . وما أن دخلت حتى أسرع فتناولت فرشاة وأخذت أزيل بها الثلج عن حذاءها الأبيض . وكان في ذلك سعادة لا تقل عما شعرت به

— وماذا عن اللغة الروسية ؟ ان نمرتك فيها سيئة .

— كلنا قد حصلنا جميعا على ثمر سيئة في هذه اللغة .

— ولكك مضطر الى الذهاب قريبا الى نوفايا روسا ، حيث لا يمكنك ان تتكلم الا بالروسية .

— انني ادرك ذلك ، طبعاً .
والحقيقة انني لم اكن اشعر بوجع الى القراءة .

وكنتم اعجب حين اسمعهم يقولون ان في القراءة متعة .
والا فلم لم اشعر بهذه المتعة انا كذلك ؟

فتح باب غرفي وسمعت اُمي تناديني .
— انت هنا يا فيليب ؟

— بلى يا امه .
كنت مستلقيا على الفراش وقد اسندت راسي الى

وسادة وامسكت بقصّة ، فاستدردت لفتح الراديو ،
وانبعثت منه اغنية عنوانها « المذبل الازرق الصغير » ،

فشعرت بشيء من الارتياح وتوسيت ان تشعر والدتي
بشيء من السورور . غير انها كانت مريضة ، وقد ظهر

الضعف عليها حتى بت اخشى النظر اليها . وكنتم
حينئذ في الثانية عشرة .

كنا في شهر مارس ، وكانت الثلوج تتكسّس
بصورة مرمجة . وجاءت عربة خاصة من نوفايا روسا

لنأخذ انيا ، وقد بدا لي انها كانت مرتبكة حينها وقتت
تحدث الطبيبة ، وان كان مظهرها قد دل على ان

بيئتها معرفة بالسابقة .
كانت الطبيبة جميلة ، وقد وضعت فوق عينيها

منظارا اسود ، فذكرتني بآيفجينيا بوريسوفنا ، وكانت
تتضمم بينما هي تتحدث الى انيا بأسلوب الصديقة

العلوفة . اياها فقد كان يبدو عليها الخجل وكسالت
جيب في اقتضاب .

وقفت بمفردي اشاهد ذلك كله ، فقد ودعت
والدتي من قبل . ولما صعدت الى العربة التفت على

نظرة عطف كانت اخر نظرة تلقيتها منها .
« يتبع في العدد القادم »



« اولا تعلمين ما تقوله انيا اذا سمعت ذلك ؟ »
غير ان جدتي لم تتنعم بان في استطاعتي الذهاب
الى المدرسة في مثل تلك السن .

وقفت على عتبة الدار انظر الى فلوس السمكة
وهي تتطاير في كل اتجاه ، ولم انطق بكلمة ، كما لو كان

الامر لا يعني ، او كما لو كنت لم افكر طويلا في
الذهاب الى المدرسة برفقة لينا . والحقيقة ان هذه

الفكرة تراعت لي كأحسن شيء استطاعت الانسانية ان
تفعله لي .

كنا نتكلم لغة ناناي فلا نشك في اننا لا نزال
نعيش في العالم القديم ، وكانت المدرسة بالنسبة لينا

هي العالم الجديد . كانت كتبنا وصورا وموسيقى
وسينما ، وهي اشياء لم يكن لنا بها عهد من قبل .

في ذلك الصباح وقتت اشاهد دني تنظف السمكة .
فقد كنت احب مشاهدة ما يفعله الكبار . ثم خرجت الى

الطريق خلف المنزل ، فرأيت لينا تتأهب للذهاب الى
المدرسة وقد حملت حقيبتها وبدأ عليها الاهتمام .

او لا تأتي ؟
قالت ذلك ثم سارت امامي فتيحتني . وحينها

دخلت الى الفصل دفعوني الى اخره فجلست بجانب
الحائط . ثم دخلت اُمي ، وكانت هي المدرسة ، فلما

وقعت عيناها علي ابتسمت ثم جاءت فجذبتني برفق
واجلسني في الصف الاول .

« ايها الولد الطيب ، لا تخف ! »
حينها سمعت اُمي تقول ذلك شجرت يائني فجاء

ولد طيب . وكما كان جميلا في نفسي ان اشعر بانني
طيب ! ثم اعطاني واجبا على غير رغبة منها ، فتملقت

به كما يتلصق الغريق قشة . وطوال سنوات لم يكن
لدي التركيز ولا المواهب لكي اكون طيبا حقا ، بسـل

كان لدي القدرة فقط على ان اجلس صامتا . وكانت
انيا مثالا للظرف والرح ، فكانت تضحك وكنتم اضحك

معها . ثم اخذ تفكيرها يصطبغ بلون فكان لا بد من
ان يطغى على تفكيرها هذا . كنا قد بدأنا نعلم حاجات

لغة ناناي ثم اخذنا بعد ذلك نتعلم اللغة الروسية .
واذكر ان انيا كانت من قبل تقص قصصا وتغني

بالروسية ، ثم وقعت مريضة فمنعها الطبيب من التعليم
في المدرسة . هنالك بدأت اشعر بانني تليذ خائب .

وحينها ادركت انيا ذلك دهشت ثم قالت لي
بالروسية .

« ولكك ولد ذكي يا فيليب ! »
ثم عادت تقول :

— فيليب ، يبدو لي انك لم تعد تذاكر في المنزل !
— ليس لدي ما يجب مذاكرته يا امه ، فانا الاول

في الفصل .

رثيف خوري

بقلم: الدكتور جليل كمال الدين

الشخصي ، من خلال احترامه المجتمعي
وكفاحه في سبيل مبادئه وتجسيدها
واقعا شخصيا حياتيا . ومن هذا
المنطلق نفسه ، فانه لم يتحرج عن
مؤاخذة اذياء عرفوا باخلاصهم لقضية
الحرية والجهاد في سبيلها ، غيبتهم
بالسلطوية والفحالة والسذاجة ،
وعدم الالتزام بمبادئ محددة ، بينة
المعالم ، واضحة الرؤيا .

ومن هؤلاء الشاعر المصري ولي
الدين يكن ، الرجل الذي شغف
بالحرية ، وهام بحب الاستقلال
وقاوم الظلم والاستبداد ، لكنه ايد
احتلال الانكليز لارض وادي النيل ،
معتقدا ان جلاءهم عنها يجر عليها
كارثة وبليّة ، ويرى رثيف خوري ان
الحرية تأتي بطبيعتها ان تكون عطاء
من الغير ، وكل اعمال التنظيم اذا
لم يبدعها شعب مستقل بارادته
وجهد ، يتصرف بخيراتها لنفسه ،
فلا قبة لها ولا معنى سوى انها
قيد ودين يزرع تحت ثقلها الشعب .
وخلال دراسة جادة نشرتها مجلة

ارسال الحكم الفصل الى استجلاء
مدى ما تزخر به الفكرة قديمة او
جديدة ، وما تنطوي عليه من تمثيل
طابع العصر واستجابة لداعي التطور
وتجسيد مطالب المجتمع وطموح
الشعب الى الحرية والخير والجمال
والحق والسعادة .

ويقدر تاركه على الاهتمام بفنية
السعي وما يلحق به من عاطفة وخيال
وتشبيه ، الزم الاديب ان لا يتشبث
بالمطلق ويتوق الى ما هو مستحيل
الامكان ، وعنده ان جميع النظرات
والمواقف التي يعتنقها الناس ومن
بينهم اصحاب الرأي والفكر وحيلة
الانقلاص ، تملأها عليهم غالبا مصالحهم
وقائع حياتهم واوضاعهم الطبقيّة
والمادية .

لكن هذه النظرة لم تورطه في
الجمود وضيق الافق ، ولم تجعله
مغلطا ، مترددا في انتقاد من تضيق
صدورهم براء الآخرين ومواقفهم
ومنطلقاتهم ، انما كان اميل الى التفرّد
والتجرّد من الاثرة والاثانية في المسلك

كان الراحل رثيف خوري السّذي
فارق الحياة في اخريات عام ١٩٦٧ ،
كاتباً مرموقاً وناقداً فذاً وشاعراً
مبدعاً ، تولى عن كثير من الكتب
الادبية والمقالات الاجتماعية والتقصص
والمرحيات التاريخية . وكان يخال
النقد الادبي ضربا من الادب ايضا ،
وطريقته فيه تعتمد النظر في التناقضات
الشعرية والتقصصية والمرحلية
والتعرف على دقائقها واسرارها
الجبالية ومضامينها الاجتماعية ،
وكان يعنى بالربط بين النتاج المنقود
وبين واقع الاديب المنتج وعصره
وبيئته ومجتمعه .

لم يكن رثيف خوري مقتصرًا في
ثقافته على ماؤثر الادب العربي
القديم فحسب انما تجاوزته الى
تدارس فلسفات ومنطلقات عمالقة
الفكر العربي ، فكان زاخر الثقافة
عميق الفكر ، انساني التطلعات ، لا
يقدر القديم لمجرد انه قديم ، كما لا
ينحاز كليا لسطر فكر قديمة لمجرد انها
من مبدعات المحدثين ، انما يعود

الاداب عام ١٩٥٧ ، تحمل عنوان « الادب والرسالة القومية » ، نادي الناقد رثيف خُوري بضرورة نزوع الاديب الى تمثيل تطلعات امته ، والمشاركة في تحقيقها ، اذ ليس الادب رهنا برشاقة تعبير واناقة تصوير ، فهو ايضا رهن ، بقدر اوفى ، بالقيم التي يتبناها ويخلص لها ، وهو ايضا رهن بشخصية الاديب يقتضيهما الصدق في المسلك والاخلاص لتلك القيم .

ومن هنا فقد استهدف توكيد قيمة الناقد ودلالته الاجتماعية والانسانية عبر مناقشته للاديب البارز بمخايل نعية ، في مؤتمر الادباء العرب الثاني حول موضوع الاديب والناقد ، وتطلب الاسناد نعية ان لا يسرف في الوهم والخيال ويتشبث بالملق ، بينما يفوته الادراك الحقيقي لمفهومات الحق والخير والجمال ، وخلص الى اعتناق الاديب من روح التسبب واللامسؤولية حيال قضايا الفكر والوطنية .

والا توالم هذه شبيهة بما عبر عنه في مناظرته المشهورة مع الدكتور طه حسين عام ١٩٥٥ ، حول الجهة التي يخصها الاديب بنتاجه ، فقد اعلن عن وقوفه الى جانب النظرية التي نرى في الادب انتفاحا على الحياة المتحركة المتجددة ابدًا . والاديب عندها لا ينقل نسخة عن العالم الواقعي ، وليس هو محض وصف لما عليه الواقع من نماذج ، اوحض رساها للالفاظ ، وانما هو يميز في ما يصف ويمسور ظواهر الحياة .. لا يقصد من وراء ذلك الى لذة وترفيه او مباهاة ببيان ، وانما يقصد الى ان يدخل في وعي الجماهير ايا من هذه الظواهر هي النامية في الحياة ، وايا منها هي الظواهر الماثرة الى ذبول واضمحلال ، وذلك بغية ان يوجههم الى تغيير الحياة .

ولم يقتصر هذا الناقد في عطائه الادبي والفكري على التنظير وتحذب

معالم الطريق امام الادباء ، بل تجاوزه في الوقت ذاته الى الوضع والابتداع والتمرس بعملية الخلق الفني ، فكان الشاعر والناقد والباحث المنقب ، الى جانب الانسان المناضل الذي يحذر امته اليأس والاستسلام ، ويغريها بالامل ، ويحث على المقاومة والصمود والتطلع لانجلاء غاشية الاستعمار ، فهو يقول مثلا :

انا حرقنا الضحايا

يضج فيها الضياء

اتاجبنا القاي

ولم يهتأ الفناء

فهل تخال الدماء

حقا تفور هباء

لا فالدماء ستزكو

حريصة زهراء

ان كان خاب جهاد

فلا تهين يا صديقي

اي الجهاد رويد

على تروابي الطريق

ومن الكتب المهمة التي اصغرها

رثيف خوري « المدرسة الادبية »

وقد اوبنا ماكانته الى ثلاثة اقسام :

النقد الادبي ، والدراسة الادبية ،

والتاريخ الادبي ، وبين عناصر كل

منها ، محذرا من الخلط والجمع

بينهما معا .

فالنقد الادبي ، بحسب هذا

التقسيم ، يعني بدراسة الآثار

الادبية ، من حيث هي بيان ومعان

وغرضه معرفة الاصول الفوقية

والفنية التي تتفق الذوق ، فيستطيع

الحكم على الآثار الادبية ، اقيمة

هي ام رديئة .

بينما يعني التاريخ الادبي بتناول

الآثار والنتاجات من حيث هو نتاج

اشخاص وعصور والغاية منه

تصوير التفاعل الذي يقع في زمان

ومكان معينين بين مختلف العوامل

والمؤثرات ، فيترك طابعه على مشاعر

الادباء ومداركهم على اثارهم الادبية .

فالدراسة الادبية ، بالتالي ، مزج بين

النقد والتاريخ الادبي .

ثم انه قسم الدراسة الادبية الى فئتين منها تصوير شخصية الاديب واطهار ميزاته ، والموازنة بين قطعتين ، ومناقشة اي من الآراء الادبية ، ومثل لكل من هذه الفئتين بنموذج تطبيقي .

ولم شرحه بطريقة ابي تمام الطائي في نظم الشعر هذه النماذج محتوي واقواها ملاحظة ، وقد قال فيه « والمعجب ان ابا تمام كثير الالتفات الى اجتماع الاضداد في الحياة » ، بل انه يلاحظ تولد الضد من ضده ، وهذا عبق في التفكير :

رب خفض تحت السرى وغناه

من غناه ونضرة في شحوب

وحين نتحت عن الكون في نلر

الانسان — لا سبها الشاعر — فاننا

نعني في الحقيقة اكونا ، فضة الكون

الخارجي ونقصد به الطبيعة المحيطة

بالانسان من كون جهاد وكون حي ،

ثم الكون الصبي والكون المعنوي ،

وهي كلها متشابكة مؤثر بعضها في

بعض ، والشاعر ميال لان يراهها

كونا من خلال كون ، وكونا مرة

لكون ، وهذا لا يخلو من الغفوض ،

وخلاصة هذه ان ابا تمام يسلك الى

المعاني الطريق غير المباشر ، فاذا

وفق — وكثيرا ما يوفق — استطاع

ان ينهض بالمعنى المألوف الى مستوى

« رفيع » .

وكذلك ، كان رثيف خوري معنيا

بالباحث عن الجمال والصدق ، في بيت

من الشعر ، او في قصة ، او تمثيلية

وسواها مما تبذعه بواهب الانسان

عبر سعيه وتطلعه للتغيير والتحول .

واذا اخذنا كتابه الشهير « الفكر

العربي الحديث » نموذجا لدراساته

الادبية النقدية التاريخية ، فاننا

سنجد مؤننا بالترابط الجدلي بين

ظواهر الفكر والتاريخ ، ومتيقنا لا يكل

عن الجوهر في الظاهرة المعنية ،

وصلة هذا الجوهر بسواها من الجواهر

في اطار الظروف المادية المعنية . ان

لا يقف على اطلال الماضي مقدار ما
يقف على تصاميم المستقبل » .

على مطلق الحق ، حين قال : « ان
رؤيف خوري ، حتى في كتابته التاريخ

هذا الكتاب الذي صدر عام ١٩٤٣
يتحدث عن لتاح الفكر العربي الحديث
بمبادئ الثورة الفرنسية ، وبكلمة
ادق عن تأثير الثورة الفرنسية على
الفكر العربي الحديث .

وإذا امعنا النظر في مقتبس صغير
من الخاتمة (وهي التي اراد بها ان
تكون مقدمة ، كما قال ذلك بالحرف) ،
فاننا سنجد ان رؤيف خوري يؤمن
بالمادية التاريخية وينطلق منها ،
مثلاً ينطلق من مقولات نظرية المعرفة
التقدمية . انه يقول :

« لقد شهدت موكبا حائلا من ادباء
ومصلحين وقادة ثائرين وحوادث
جسام ، في بلاد من العالم . وشهدت
موكباً حائلاً من ادبائنا ومصلحينا .
شهدت الافغاني والكويتي والمراغي
والنذيم واسحق والشميل والريحاني
وجبران وغيرهم معرفت ، اولاً ، ان
تاريخنا الفكري في مطلع نهضتنا
الحديثة ، يباهي بصفحات خيرة نيرة
من رجال جريئين متعمقين . وعرفت ،
ثانياً ان هؤلاء الاذنان من ادبائنا
ومفكرينا لم يبتروا ما بينهم وبين
ماضينا ، ثم لم يقطعوا ما بينهم وبين
الدنيا ، ثم لم ينفصلوا على انفسهم
في « صوامع وابراج » ولكنهم
شخصوا الى قديمتنا وتعلموا ،
واطلعوا على العالم وتفتحوا ، ونظروا
في احوالنا وشؤوننا ، وطلعوا من
ذلك كله بلواء نقشوا عليه مطامحنا
ورسموا امانينا . اما اللواء فهو
الوطنية ، واما هذه المخالجات والاماني
فهي الحرية والرفق والهناء
للامة ... » .

ويدعو رؤيف خوري ، بعد ذلك
كله ، وفي سطور الكتاب الختامية ،
الى حفظ تراثنا وحمائته وتكميله
وتطويره ، باعتبارنا « ورثة الميامين
السابقين في محاربة الاستبداد من
اجل الشورى ، ومكافحة الاستعباد
من اجل الحرية » .

ان عمر فاخوري مقدم الكتاب ،

(مرثية طفل سوري مات ودفن
في بكين بالصين الشعبية)

وكفناه يا ولاده بالفجر
ووسنناه امعنا الترابية
بكينا .. كم بكينا فيه غربتنا
ووحدنا ببلدنا الحديدية
وراح ابوه يا عني ينميه
ويهذي بالبكاء المر لا نذهب
ينادي امه الخرساء غطيه
ليصحو بعد ساعات لكي يلعب

وجاءت خلفنا الاطيار تسالنا
الى اين ؟ لماذا يؤخذ العصفور ؟
اجبنها بادمعنا واطرقتنا
فراحت حولنا تشدو نشيد النور .

وغامت شمس ذلك اليوم في افق
نحاسي يجله رداء الصمت
وتحت السنط والصبار موكينا
تخرجه الى الوادي اغاني الموت .

وعندا ، لم تعد احلامنا معنا
دقناها مع العصفور تشجيه
تداويه برقده وتؤنسه ..
الى ان ياتينا عيد .. فقاتيه .

الموت في الغرب

شعر
محمد طنطاوي

عرض
كتاب

THIS IS
MUSIC

التذوق الكامل

للموسيقى

٢١

هل هو مهتم ..

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

حسام الدين زكريا

لعلك عزيزي متذوق الموسيقى الجاد تحسب أن عازف الموسيقى المحترف لا بد أن يكون على درجة فذة من رهافة الحس ، ولكن اتول لك مطمئنا أن فئات العازفين — وحتى عازفي الاوركسترات السيمفونية — انبازرة — يتمتعهم قيامهم بتأدية عملهم من التذوق الكامل للموسيقى ، وذلك لانشغالهم باستمرار في امور الاداء ، فالمشاكل الفنية التي تتعلق بمواضع الاصابع على الاوتار ، وبضبط درجة الصوت من حيث قوته او نغمته ... الخ . يتطلب تحقيقها تركيزا من العازف ، وهذا نفس ما ينطبق على المغنى سواء وهو يؤدي

وبعبارة أخرى هل سيتسنى لاي انسان — مهما كانت درجة تدريبيه على الاستماع — ان يتجاوب تماما مع جميع جوانب القطعة الموسيقية الفكرية ، والعاطفية كما قصد بها مؤلفها تماما ؟ كم اثار الموسيقى من تساؤلات بل كم اثار محاولات تفسيرها من تعقيدات لا نهاية لها . . ان الاجابة على سؤال كهذا — حتى لو فرضنا ان مستمعنا المثالي موسيقي محترف احسن تدريبيه ستكون نفيا قاطعا ، ولعل ذلك يبعث بعض الطمأنينة في نفوس اولئك الذين يجدون انفسهم حيارى وسط ذاك الغموض الذي تثيره الموسيقى .

ولكن ما هو التذوق الموسيقي ؟
Music appreciation في قاموس هارغارد للموسيقى نجد أنه اصطلاح يطلق على نوع من التدريب الموسيقي لتثنية قدرة الهاوي الجاد المهتم ليتمكن من الاستماع بوعي السى الموسيقى التي يسمعا في حفلات الكونسير او برامج الاذاعة مما يزيد من متعته وسروره .
وينصب التعريف كما رأينا على عنصرين (١) المقدرة على الاستماع بوعي (٢) وزيادة المتعة والسرور .
وهنا يتبادر الى الذهن سؤال هام : هل هناك تذوق كابل لاي قطعة موسيقية طويلة ؟ .

الشاهق ؟ وقد يبدأ في متابعة اصابع العازف وهي تجري في خفة ورشاقة فوق لوحة مفاتيح البيانو .. وهل تتحرك اقواس عازي الفولبنات معا في وحدة واحدة ام لا .. ثم الاعجاب الشخصي بالميسترو وهو يتأجل بمه وبسره .. الى اخر تلك الحقائق التي تثبت ذهن وتلطف ذلك النقاء الذي يطلبه التجارب التام مع الموسيقى .. اضع الى كل ذلك اليوم الشخصية التي تتأجل كلا منا في لحظة ما مما يشكل في نهاية الامر مؤامرة على التركيز المتصل الذي يطلبه التدقيق الكامل .

ونسفترض الان وجود مستمع مثالي ، وهو هاوي جاد كرس وقته تماما للموسيقى واخذ على عاتقه استيعاب سيمفونية كاملة ، ولنفترض انه يحل مكانا — في قاعة كونسب — فخمة — وفرت لها كل اسباب الراحة ... ولنتذكر لخيالنا العنان ونفترض ايضا انه قد اغض عينيه وواتته قدرة هائلة على التركيز بحيث لا يستطيع ان شيء خارجي ان يشتت انتباهه ... والان وقد طرحنا جانبنا أي عبة ممكنة تشكل عائقا على تجاوبه التام مع الموسيقى ، دعنا نرى مقدار ما يستطيع تحصيله من تلك السيمفونية .

لكي يستوعب مستمعا المثالي هذا المحتوى الموسيقي السيمفونية برمته سيكون من الضروري له ان يميز ويتذكر كل ميلوديا Melody وكل موضوع او موفيه Motive في العمل الموسيقي ، وعلاوة على ذلك يكون تعود على سماع تلك الألحان والنغمات قد اكسبه القدرة على تمييزها اذا ما عادت للظهور في ثوب اخر كان تعزفها آلات مختلفة او تصاحبها هارمونيات متغيرة ، او تعزف بسرعات متنوعة . واذا ما ظهرت الألحان وقد تأثرت في اثناء تحنية تشابكت مع بعضها البعض بل

الموسيقى) يستطيع الوصول الى اعلى مراتب التدقيق وأي استيعاب لمحتوى عمل موسيقي اعظم من ذلك الذي يقوم على القدرة على عزف ذلك العمل ؟ هذا صحيح تماما الا انه في اغلب الاحيان نرى العازف وقد انصب اهتمامه على طريقة الاداء لاعلى الموسيقى نفسها (اذا ما كان يستمع الموسيقى من عازف اخر) اما المستمع الهاوي فلا تعنيه النواحي الفنية في العزف بقا، تلك الاهتمامات التي تقتصر حتى الى ذهن العازف وهو يستمع لعازف اخر .. اذن ما زال المستمع الهاوي على غرض وجود رغبة اكيدة لديه لتعود نفسه على الاستماع للموسيقى الجاد هو الشخص الوحيد الذي يستطيع الوصول الى اعماق متعة من العمل الموسيقي .

ويتطرق بنا الحديث الان الى موضوع التركيز Concentration فحتى المستمع الجاد الذي تفرغ تماما لموضوعات التدقيق الموسيقي والاستيعاب التام نراه معرضا لمشتتات الذاكرة والانتباه . ولئن كانت قاعات الكونسير Concert Salle هي احسن اوسائل التي تتفق عنها العقل البشري للاستماع المباشر الى الموسيقى وهي في كامل تألقها النغمي فمن يضمن للمستمع الجلوس وهو لا يترك ساكنا طوال ساعتين (مع ملاحظة ان قاعة الحفلات هي مكان غالبا ما يسوده الكلف الاجتماعي مما يخلق معه اي تجاوب بدني تبعثه الموسيقى) وكيف يقاوم تلك التوازع البشرية العادية حين تبدأ عيونه في التجوال بالقاعة يتأمل تغيير الوجوه ويفحص مختلف الاراء ، او عندما يسري عن ذهنه المنهك بالنظر الى نجفة معلقة بعيدا في اعلى السقف ويبدأ في قدح زناد فكرة ليسال ... كيف يستطيع القوم هنا تغيير لمبة تالفة في تلك النجفة من هذا العلو

منفردا Solo او — مع الكورس فهو كالعازف تماما لا يهيم بالدرجة الاولى الا التركيز على مشاكل — الاداء . وقد يظن البعض ان المايسترو هو الوحيد الذي يمتلك القدرات الكاملة لاستيعاب العمل الموسيقي استيعابا تاما . الا انه هو الاخر محروم من التدقيق الكامل للموسيقى ، فكل طاقاته تتركز — أثناء الاداء — في استخراج اقصى ما يمكن استخراجه من العازفين حتى يكون اقرب ما يمكن لروح المؤلف ونواياه . وهذا وحده واجب ملح ثقيل كغبار يصرف انتباهه عن تدقيق الموسيقى نفسها (هذا اذا ما اقتربنا ان ذهنه غير مشغول بأفكار أخرى غير موسيقية — مثل انفاقته في الفراك .. وتأثير اشراقاته السحرية في قلوب الفظارة ...) وهكذا فسان المايسترو غالبا ما يجابه التدقيق في استخراج الجوانب العاطفية التام الذي يريده المؤلف لمستمعيه في أي عمل موسيقي بالرغم من انه في بعض الاحيان يكون قد تدقق العمل واستوعبه تماما الا انه عند قيادته للوركسترا فان اهتمامه الاوحد يكون منصب على احداث هذه الانفعالات في جمهور المستمعين لاعلى اختبارها بنفسه .

آه لو يعلم متدقق الموسيقى العادي وهو يأخذ مكانه في الكونسير مستمتعا بما يتلقا من جرة جمالية — كما يصده العازفون والمايسترو — وهم يعانون في استخراج الانغام له . ان كل عازف وسط ذلك الضجيج يسمح نسخة مغايرة تماما لما يأتي خارج الاوركسترا حسب موقع كل عازف الا ان هذا لا يعني ان محب الموسيقى الهاوي يملك أعلى درجة من التدقيق . فلا شك ان العازف بما لديه من قدرة على تراءة النوتة وازدياد قدراته في الاستيعاب نتيجة تكرار عزف القطوعة الواحدة التعود اكبر عامل مساعد للتدقيق

بوجود مثل هذا الاعتزال والرهبة التي يتطلبها تجاوب كهذا ومن حسن الحظ أن ليس هناك داعي لوجوده فالموسيقى تعطي مسراتها على مستويات مختلفة طالما كان الفهم الصادق والاستمتاع بالفن متاحا للجميع .

حسام الدين زكريا

يضمن بها أنه سيكون قادرا على أن يلقى جانباً بكل ما يشتت انتباهه وتركيزه على فترة زمنية يوليها كل اهتمامه . فالأرجح أنه سيفقد التجاوب الشعوري Emotional Responsiveness بل سيصبح مغلقا دون الرسالة التي توصلها الموسيقى لعلمي قد وصلت معك أن ليس هناك شيء يسمى بالتذوق الكامل للموسيقى فالحياة نفسها لا تسمح

ربما عادت الظهور معكوسة من الآخر للاول . ثم عليه أن يكون متيقظا للاستطراد الهارموني والمصاحبة الالية ، حتى اذا ظهرت تلك الهارمونيات دون اللحن الذي صاحبته قبلا يستطيع ان يتحقق من وجود تورية ما .

وكل ذلك كان شيئا قليلا من المهارات الذهنية البحتة في مجال التذكر والتمييز لمختلف الألحان التي يجب على مستمعنا المثالي أن يحيط بها تباها اذا ما اراد الوصول الى مرحلة التذوق الكلي للموسيقى ، نادا ما اخذنا في اعتبارنا عدد الألحان في سيمفونية متوسطة من سيمفونيات القرن التاسع عشر ، وعدد التحويلات Modulations التي تتعرض لها تلك الألحان خلال عمل يستغرق وقتا من ثلاثين دقيقة الى ما يربو على الساعة والنصف سيتضح لنا على الفور ان تحقيق هذا التذوق الكامل يعتبر شيئا نادر الحدوث . هذا اذا ما تركنا جانبا الاحاطة بالمعلومات الكافية للموسيقى التي عاصرت بل وسبقت تلك السيمفونية التي يستمع لها ، حتى يستطيع ان يقيم مقدار اصلتها ومكانتها في تيار الموسيقى وهو ما يدخل في نطاق « القدرة على الاستماع بوعي » المذكورة في تعريف التذوق الموسيقي ، ولا حاجة بنا الى القول بأن القدرة على الاستماع بوعي على هذا المستوى مكتولة لقلّة قليلة منا فقط .

وحتى اذا تكلمنا عن زيادة المتعة والسرور التي وردت في تعريف التذوق الموسيقي فسواجها هذا السؤال .. هل سيتبين المستمع من المتخلي عن خبراته الاتعالية الماضية وهو يستمع الى الموسيقى ؟

اذا صح ذلك فسبحرهم نفسه بالضرورة من كثير من المتع والمسرات التي تنميها له الموسيقى ولو امتلك مستمعنا حقا تلك القدرات التي

كيف أحبك؟

تأليف : الزينيت بارت براونوك
ترجمة : سليم إبراهيم الشخاي

كيف احبك ؟ دعني اعدد الطرق
احبك الى الاعماق والسعة والعلو
التي تصلها روحي ، عندما يتعد الشعور عن المكان
حتى نهاية الوجود والتمم التخليه .
احبك لمستوى الاشياء الهائلة التي نحتاجها كل يوم
احبك بحرية .. ككتفاح الرجال من اجل الحرية
احبك بنقاوه ... كموندتهم من الصلاة
احبك بكل العواطف الموضوعه فينا -
في احزاني القديمة ، في صدق طقولي .
احبك بالحب الذي بدا يفقد
بكل قدمية الضائعين — احبك بنفسي
بالضحكات ، بالدموع لكل حياتي . واذا مت
ساحبك اكثر بعد الموت .



المقاد

في ذكره الثالثة عشرة

بقلم : عبد الرحمن شلش

وظائف حكومية ، ولكنه استقال في النهاية ، وتحول الى العمل في المجال الصحفي ، فعمل في صحيفة « الدستور » مع فريد وجدي الذي كان يلتقي معه فكريا ، واختص بيباب: الاحاديث الصحفية مع كبار الساسة والكتاب .

وخلال عمله في الصحافة اتاحت له فرصة التعرف على كتساب وادباء عصره ، وجمعت بينه وبين بعضهم صداقة قوية ، ومن هؤلاء : ابراهيم عبد القادر المازني ، وعبد الرحمن شكري . كما التقى وتعرف ببعض ادباء المهجر ، وربطته صداقة بمخاضيل نعيمة .

والى جانب ذلك ، اشتغل المقاد بالسياسة وهو لم يتعد العقد الثاني من عمره ، وكانت السياسة على حد تعبيره : « على صلة بالادب » فالعلاقة بينهما وثيقة ، ولهذا انشغل بالتفكير في نظم الحكم واشكاله في مصر والعالم .

ومن هنا ، احب المقاد الحرية ،

والعلمية على يد استاذة لخبير الجداوي ، القاضي الشرعي ، وهو واحد من الذين حضروا مع الشيخ محمد عبده ، ودروس جمال الدين الانبأني .
وانشاء دراسته راح يطلع على محتويات دولا ب « المنطرة » في بيته ، ويحتوي على كتب ومجلات كان ابوه يمتلكها .

ويرى المقاد ان هذا الدولا ب كان سببا من اسباب دفعه الى عالم الادب والفكر ، فيقول : « ربما كانت سهولة الكتابة عندي نتيجة مستفادة من سهولة القراءة ، ولم اكن تارنا الا لاني ساكون كتابا يوما من الايام متى تيسرت الاداة » .

والواقع ان المقاد كان — منذ نعومة اظفاره — ميالا الى الانفراد ، والوحدة ، والتأمل فيها حوله .

ولقد تسرب الى نفسه اهل راوده ازاء مستقبله ، وهو ارغفة في الاستغفال بهنة القلم والصحافة ، فترك الدراسة ولم يتبها ، وعمل بعدة

كان المقاد (١٨٨٩ — ١٩٦٤) — وسيظل — في طليعة مشاهير الفكر العربي الحديث ، فقد لعب دورا بارزا في حياتنا الادبية والفكرية على امتداد اكثر من نصف قرن ابتداء من

اوائل القرن الحالي — العشرين — وحتى قرب منتصف الستينات .

وبادى ذي بدء ، نتوقف عند حياة المقاد ، ولا سيما الجانب الادبي فيها ، حتى تكون ماثلة لآمالنا في ذكره الثالثة عشرة التي وافقت الثاني عشر من مارس الماضي .

ولد بأسوان في الثامن والعشرين من يونيو ١٨٨٩ لابوين شديدي التدين ، وقضى سنوات طفولته هناك ، حيث تلقى تعليمه في « الكتاب » .

بيد انه لم يلبث ان تهرد على نظام معلمي « الكتاب » فنفصر من « الكتاب » ، وتركه ، ولم يرجع اليه مرة أخرى

وبعدئذ التحق بالمدرسة الابتدائية ، وتلقى العديد من الدروس الادبية

ودعا الى الديمقراطية ، وشارك في القضية الوطنية في مصر ، وخاض بقلبه الكثير من المعارك في ميدان السياسة ، فكلما انتهت معركة ، استأنف اخرى .

كما لقي بنفسه في غمار ثورة ١٩١٩ ، وشرع يحرر منشورات جماعة « اليد السوداء المرية » ، ويكتب مقالات ثورية ملهبة ، ووقف ضد لجنة « ملز » وكشف اغراضها ، ووقف الى جانب دستور ١٩٢٣ ، ودخل السجن بتهمة العيب في الذات الملكية ، ووقف ضد الحزب الذي كان ينتمي اليه ، وهو حزب الوفد ، وخرج على ارأته ، ووقف منه موقفا عدائيا عنيفا ، ثم ارتبط بالسبعين لمصادقته بالقرشي الذي كان يقدره تقديرا كبيرا . كذلك وقف ضد الصهيونية والاستعمار ، وكشف اطماعها واغراضها الذنيئة .

وخاض العقاد بسلاحه — القلم — العديد من المعارك الادبية مع معاصريه ، واختلف مع بعضهم ، ومنهم : الدكتور طه حسين ، وسلامة موسى ، واحمد شوقي . والجدير بالذكر ان هذه المعارك الادبية كانت عاملا من عوامل ازدهار الحياة الادبية والفكرية في العشرينات والثلاثينات والاربعينات من هذا القرن في مصر . ولا يستطيع اي باحث في سيرة العقاد ان ينكر دوره حينما تصدر ثورة مدرسة الديوان .

ولعلنا نتساءل : ما دور مدرسة الديوان في الحركة الادبية في مصر ؟ يمكننا الإشارة — بايجاز — الى دور هذه المدرسة في النقاط التالية :

١ — تحديد معالم نهضة ادبية حقيقية .

٢ — الدعوة الى الصدق في التعبير .

٣ — ادخال روح الاستقلال في الادب .

ولقد استطاعت مدرسة الديوان بفضل جهود العقاد وصحبه ، ان تحول تيار الادب من الجهد والتخلف الى ادب انساني يتميز بالجرأة والصدق .

ونشير الى اهم مؤلفات العقاد التي تزيد على ثمانين مؤلفا في الشعر ، والقصة ، والتاريخ ، والبحث ، والترجمة ، والحضارة .

ومن هذه المؤلفات : الديوان في النقد والادب ، والفصول ، والمطالعات ، والمراجعات ، وساعات بين الكتاب ، والحكم المطلق في القرن العشرين ، والفلسفة الترانسية ، والاسلام في القرن العشرين ، والتفكير مريضة اسلامية ، ولا شيوعية ولا استعمار ، هذا الى جانب كتب المبقيات : عبقرية الامام ، وابو الانبياء ، وعثمان بن عفان ، وقاطمة الزهراء ، والصديقة بنت الصديق .

ويبدو ان الحق الى القول بان العقاد كان متعمقا في الفكر الاسلامي ، فخلص الى اعناق التاريخ ، ووصفه خاصة تاريخنا الاسلامي ، ولهذا ترجم لاسمه اعلام الاسلام كما اقمتم ميدان الفلسفة ، فتناولها في بعض مؤلفاته .

وكان العقاد في عبقرياته معجبا بالشخصيات التي يكتب عنها ، وبالتالي حرص على تناول دورهم وجهودهم من خلال وجهة نظره منصفة .

ويمكننا القول بان العقاد كان صاحب وجهات نظر تتميز بالتعمق في كافة جوانب المعرفة الانسانية .

وفي عبقرياته كان يحدد لنا مفتح الشخصية التي يتناولها من خلال الغاء الضوء على نقطة هامة في الشخصية ، وهي الاعجاب ببطولتها واعمالها .

كذلك كان يرى ان الحضارة الانسانية هي نتاج هؤلاء العباقرة ، فهم الذين يقودون الامم ، وهم الذين

يصنعون مجدها وتاريخها ، وهم الذين يتروكون بصمات واضحة فوق كل شيء . ومن خلال مشوار المعطاء الفكري الطويل للعقاد ، نستخلص عدحقائق نجعلها فيها يلي :

أولا : ان دراساته وكتبه جعلت منه عبقرا ، ليس في لغتنا العربية ، فحسب ، بل في اللغة الانجليزية ، وهو الذي لم يزل سوى شهادة الابتدائية .

ثانيا : ان العقاد ظاهرة فكرية ربما لا تتكرر الا قليلا ، ذلك انه قام بتربية نفسه بنفسه : عقليا ، وقلبيا ، واجتماعيا .

ثالثا : ان العقاد يعد رائدا من الرواد الاوائل في حركة التجديد في ادبنا الحديث : شعرا ونثرا ونقدا ، كما انه يعد مناضرا للمعلماء والمتخصصين في العالم بعد ان ملا الدنيا بفكره وادبه .

حقا .. لقد برزت شخصية العقاد برغم كل الظروف التي احاطت به ، وبفضل ارادته وقدرته استطاع ان يتصدر الحركة الفكرية والادبية في عصره .

ولعل العبقرية وحب العقاد لها تصلح ان تكون مفتاحا لشخصية هذا الفكر العملاق .

واذا كان العقاد يعتبر قارئنا نهما ، فان قدرته على استيعاب ما يقرأ كانت فائقة .. كانت لديه مكتبة من اكبر المكتبات التي يمتلكها الكتاب في عصره وكانت تضم عددا من الكتب في كل الفنون والعلوم والاداب ، وكان يقرأ باللغة الانجليزية التي اجادها كابنائها تماشا .

ولئن كان العقاد قد عاش حياته دون ان يتخذ له زوجة حتى وافته الاجل ، فهذا يدل على انه وهب حياته كلها للتفكير والمعطاء الفكري بغير حدود .

تحية للعقاد في ذكره حتى لا نثر دون ان يلقي صاحبها الوفاء اللائق به .

البناء الفني

للمرواية والقصة القصيرة

بسرعة خارقة ويعبرون مسالك غاية في السهولة . اما العقبان التي قد يصادفونها فهي ليست ناجمة عن مسببات طبيعية انما هي ضمن صلب الرواية . ثم ان البيئة الفيزيائية للرواية الشعبية ليست مقاومة ايضا ، وهذا ما يجعل عبارة « لقد نفذ الامر بالحال » وغيرها تبرز تكرارا ضمن « محتواها الاجمالي الداخلي » .

كما ان الرواية الشعبية لا تملك اية عتالة سيكولوجية . فالبطل يعرف كل شيء دونما تردد ، اذ يتخذ احواله دون تأملات عبقة . وان عزومه وقراراته لا تلقى اية مقاومة من البيئة انما تصطدم بعزومه وقراراته الآخرين : العرافين والسحرة ... مثلا . وتترن السهولة الديناميكية للرواية الشعبية ، تبعا لسهولة التي تتسم بها شخصيات الرواية الشعبية . وان توالي الاحداث في الرواية الشعبية هو الزمن الفني لها . فان توضيح الرواية يتطلب ان يكون عالم القصة سهلا قبل اي اعتبار آخر . ذلك من اجل ان تتطور الرواية (فنيا) . اذ ان سهولة اسلوبها يؤكد ان ليست هناك « معوقات » وتقل مقاومة البيئة ويشعار الزمن ويتسع الحيز .

اما العمل في روايات « ديستوفسكي » فيتقدم بسرعة وفعالية وحوية . وعلى هذا فان عامل المقاومة في عالم « ديستوفسكي » الخيالي ضعيف جدا كما هو الحال في الروايات الروسية الشعبية . لكن الفاعلية الفاضلة في اعمال « ديستوفسكي » الروائية تصوب خلال فضاء الحياة الايدولوجي والسيكولوجي ، فان هذا الجزء من عالمها « الداخلي » يملك ادنى قوة مقاومة . . لذا فان روايات « السبب والنتيجة » عند « ديستوفسكي » ضعيفة وان قوانين العاديات اليومية منهكة في الغالب . لذا فان عوالم «ديستوفسكي»

ان العمل الذي يعكسه الفنان لا شك نابع من الطبيعة الهادفة والتكاملية ، في حين ان الاعتداد على عالم الحقيقة يعكس كل عمل فني من زاوية الخاصة . ان الصيغة الاولى من هذه الحقيقة تتعلق بالمعالم الخيالي الذي يتحدد ضمن رؤيا ووجهة منهجية خاصة . ان عالم التخيل يملك عالما سيكولوجيا او جوا سيكولوجيا من لدنه . ان أبطال « كونشارفو » مثلا تغاير في سيكولوجيتهم أبطال « بروتس » وهي الحال ايضا في أبطال « كافكا » التي تملك سيكولوجية شبيهة منفردة عن اجواء « بروتس » مثلا ولستواء . وهنا تتوهج حقيقة متميزة هي ، ان الكيانات الفنية لاعمال هؤلاء تتباين عن بعضها البعض ، سواء في الرواية او في قصصهم القصيرة التي كتبت في بدايات تجاربهم الابداعية . اذ ان الوجه الفني لكل من اعمالهم يملك دلالات متميزة خاصة به . وانطلاقا من هذا فان كيان العمل الفني هو شكل من الواقعية المختلفة الا انه يفتر لعناصر العالم الحقيقي . فالادب لا يشمل سوى بعض المظاهر الواقعية التي قد تضيق أو تتسع مبدعة اسلوبا مغلفا ذاتيا من لدنها ، تنهل له قوانينها . مثلا ان التباين بين الرواية الروسية الشعبية واعمال دوستوفسكي ، يتركز في ان : من أبرز السمات الاساسية للكيان الداخلي للرواية الشعبية الروسية هو ضعف « المقاومة لدى البيئة المادية » وهذا يؤدي الى التباين في البناء الفني التكويني « الشكل التكتيكي الخارجي » من رواية لآخرى وان « مقاومة البيئة » في الكيان الداخلي لعمل فني ، هو مدى السهولة او الصعوبة التي تتحقق بها اعمال أبطال الرواية ووجود او زوال العقبان وبالتالي رشاقة او بطء العمل تبعا لهذه العقبان . ان البيئة في الرواية الشعبية الروسية لا تقدم اية مقاومة - فنرى ابطالها ينتقلون من مكان لآخر

بسم : عَبْدُ الصَّمدِ حَسَن

شيء قد نشد « الاحتمال » وضمن حدود هذا الاحتمال ، كان قادرا على المضي عبر حدود المدارك العلمية لزمه بدون انتهاك الحقيقة الأساسية للحياة النفسية . فذهب بعيدا خارج حدود هذه المدارك بينما بقي داخل حدود « الاحتمال » فانتقل هذا الاحتمال « الحر » ليصبح حقيقة . وينضح موتف « ديستوفسكي » الساخر تجاه السيكلوجية التقليدية لزمه بشكل مباشر في فصل « سيكلوجية القوة » من روايته « الاخوة كرامازوف » يمر فيها المدعى العام السيكلوجي ، ويؤكد ديستوفسكي ان « السيكلوجية سلاح ذو حدين » . ثم ان ديستوفسكي يرفض المنطق التقليدي باسم المنطق العالي اذ ان ليس الشاذ « هو الحالة الخاصة والفريدة دائما بل على العكس ، قد يحدث ان يكون الانسان هذا هو الذي يحمل جوهر السلامة ، بينما سائر الناس المعاصرين له — لسبب ما — ينتزعون انفسهم من التفكير به موقتا بفعل عصفه ربح » وهذا ما قاله في مقدمته .

ان عزل كل اجزاء العالم والحرية الناشئة ، هو ما يميز العالم الداخلي لاعمال « ديستوفسكي » ولكن هذه الحرية ليست مطلقة ، اذ انها تلاقي عقبات مع نفسها وتودع بيئة اجتماعية بكل نماذجها وشخصياتها وانه عالم من الضرورة يؤكد ملامحه النافضة عند « ديستوفسكي » . وبالتالي فان الاطر المادية والمكانية والزمنية وقوانين سيكلوجيتها ونضوج الافكار العالمة فيها متركزات اساسية في تكوين الملامح المتميزة في العمل الروائي والقصصي .

الروائية وحتى في بعض من قصصه القصيرة في بداياته الاولى مشحونة بالانحرافات والنزوات والشذوذ . وتتم الاحداث بفتنة وبدون توقع . وكذا هي الحال في : ستافروجين وفرسيلوف وميشكين وميتيا وايغسان كرامازوف وناستايا فيليبونا وكاترينا ايغانوفا ، وسواهم ينصرفون بشكل فجائي . اذ ان فجائيات اعمالهم هذه معززة بالغموض الدروس للوضع وعدم توضيح الاحداث والوشائج السببية المبهمة . اذ اننا لا ندرک تماما لماذا قدم « اليوشا » مثلا لزيارة ليه في بداية رواية « الاخوة كرامازوف » بل يؤكد « ديستوفسكي » نفسه انه لا يملك اي توضيح لهذا الامر . اذ يقول في مقدمة الرواية « ... قد يبدو من القريب ان نطلب توضيحا من الاقارب ، في عصر كمصرنا هذا . » ومع هذا فان العمل متحرر لاقصى درجات التحرر ، فان في « المعتوه » مثلا نحن انفسنا نتردد في توضيح الاحداث او هل يجب ان نسال من اجل توضيح المدي الذي انسجم فيه الزفاف ورغبات الامير الفعلية ، ان من الصعوبة ان نفعل ذلك . وعلى هذا فان غيباب مقاومة البيئة قد يتألف والتكوين السردى للرواية بعكس مما هو عليه في الرواية الشعبية ، بل يتطلب تحجرا نوعيا من رباطات « السبب والنتيجة » ومن « المغالومة » السيكلوجية ومن المنطق الحسي الاول ، ويتبع « ديستوفسكي » هذه الطريقة الى المدي السذي يسمح له به « البناء الفني » . ويهتم « ديستوفسكي » بالمعبارات الفكرية الواهمة وبانعدام التنبؤ في سلوك الانسان . وفي السيطرة يقول « فيدكاكتورزني » عن « بيوتوفوفنسكي » ... عندما يقول عن انسان ما بأنه وغد ، فهو لا يعلم شيئا عنه اكثر من انه وغد ، اما اذا قال عنه بأنه احق فان ذاك الانسان لا يملك اية صفة عدا الحق . ان « ديستوفسكي » بعد كسل





شعر ..
الدكتور حسن فتح الباب

طلع الربيع وانت غير مصاحبي
يا ويلتنا الا اراك بجاني
تحين بي ميت الرغاب فتننى
كالطير منطلق الجناح رغائبي
ويضج بين اضالعي وهج الشبا
ب فئسكين عليه فيض سحائب
فيمود من سحر الحياة مرويا
ما جف من عودي بكف تجاربي
عادت دواعي الشوق تغزو مهجتي
وتشير في الاعماق ذكرى الغائب
وتحور كالرياح العتيدة في دمي
ترى الحنايا باللهيب الحاصب
فتروح اعصابي تمزق بالاسى
والحزن يعصف بالحطام الذاهب
يا ليتني لم ابن بين جوانحي
للتنازع المهجور معبد راهب
او ليتني اقوى على رد الجوى
واللاعج المشبوب بين جوانبي
ان تسبح التسميات في لجج الفضا
والزهر يعبق بالثبذا المتجاوب
او تهزج الاطيار في آلق الضحى
والعشب مخضل بطل ساكب
والنهر مستلق على قاع السرى
نشوان من خمر الضياء الفارب
وتراحم الاعطار في ساح المسا
ينكى رمادا من حنين واصب
والقبة الزرقاء في عبق الدجى
عذراء تهفو في مسوح رواهب
تتبلج القمرء في جلوائها
ريا المعاطف بالسنا المتواكب



بطلة عنق

شعر

عبد اللطيف عبد الحليم
— مدريد —

مهداة الى « مهيبتا » بالكويت

طوقتي منك فائنة
حسنها بالحب يزدان
تنسج الاشواق روعتها
وتضمير الوجد الوان
كل خيط في مناسجها
ملؤه روح ووجدان
كل لون بت اللمه
لي من رياه بستان
كيف — والاحداق تنهيه —
يتبقى منه جنمان
شف فيها الغيم ، فهي ترى
في ضياء ، فيه ادجان

هي معنى منك ، يدفنتي
ان قسا بعدد وحرمان
وفناء خانق عنقي
فيه لي عيش واحسان
ورقيب ساهر ابدا
يتقيه الانس والجنان
فاسالها : هل رات شيحا
هزني ، ما ثم كتمان
ليس لي الاك تعرفه
وهباء كل من كانوا
ان طواك الهمد — لايعنت
منك انغام والحنان —
فهي بالاحلام مؤنستي
لي منها ثم لقيان

مد الاصيل على مواقع خطوها
درجا من التور الضيف الذائب
فتخطرت ترقاه ساقطة الذرى
في كفها الريا نثار كواكب
وانهل بالطر المورج فاغما
كالتنهر يستبق الضفاف لشارب
يتعجل الليل الخلى ليرتمي
من عائقي القمر بين مواكب
ويعود للاسحار بعد صلاته
للحب انفاسا لروح لاغيب
واذا تفتحت الحياة وارسلت
نفحاتها روحا لصدر الناصب
وارتدت الدنيا لحيها طفلة
تنساب بين مباحج وملاعب
والكون عاد الى صباه يزدهى
بالمغنم المرموق غود محارب
فتن على فتن تخايل انفسا
ولهى تمن الى هواها الفائب
تسنى عيون الكائنات وتسبى
بالسحر واللفظ الخفى السارب
وتخايل المقل اللوامح بالنسا
كالحب في قلب الفتاة الكاعب
واتا اتوء بخافق دامى التشنج
وسقه بالحرمان ثمر مذهب
ويلي وقد عاد الربيع وفي فمي
نغم يئن وانت لست مصاحب
ويلي وقد عاد الربيع وفي دمي
يرعى الحنين ولا اراك بجائبي
د. حسن فتح الباب

البيئة الغامضة التي يجن لها غضب البحر والسماء . وهناك روايته (لورد جيم) و (الزنجي الفرنسي) و (مبنوذ سكان الجزر) التي تتحدث عن وحشية البحار الاستوائية ، وعقلية سكان جزرها من الاصليين والهجاء التي تشبه عقلية السلفاء والتي يرمز فيها بصراع ابطالها ضد انهر وحيوانات باتنصار القسوى الروحية الاخلاقية على القوى المادية .

اما « سومرست موم » الذي بنى شهرته في الرواية الاجتماعية والمسرحية في الحقيقة قبل ان يكسبها في رواية الاغتراب ، فقد بدأ حياته كطالب في كلية الطب ، ولف روايته الاجتماعية (ليزادي لايت) التي يصور فيها حياة الطبقات الفقيرة البائسة في كواخ لندن ، وهو لم يتجاوز العشرين من عمره . وفي روايته الضخمة (الاستعباد البشري) التي تعد من اروع الروايات التي كتبت في القرن العشرين ، يقدم لنا موم تحليلا عميقا لحالة امرأة ذكية مرهنة الحس تزوجت من مزارع خشن الطباع . هذا كما يصور فيها شخصيتي امرأتين لا تسيان ، هما موظفة المطعم « ملرد » العاصية ، المتطرفة في حديثها وحركاتها ، الشرهة في كسب المال ، والفنانة القويمة الشكية « سالي » الحيوان الرائع المنسي في احدى زوايا مقاطعة « كنت » الانجليزية .

وبعد ان خدم موم في سلك الاستخبارات البريطانية خلال الحرب العالمية في سويسرا وروسيا لم به المرض . وكتب وهو طريح الفراش روايته المشهورة (القبر والنبت بنات) ، وهي عبارة عن سيرة روائية للرسام الفرنسي المشهور « جوجان » الذي هاجر من باريس الى الجزر الاستوائية . وبعد ان ابل من مرضه تملكته رغبة جنونية في الاسفار الى المناطق الاستوائية المشمسة المجهولة

« الرواية الاغترابية الانجليزية »

بقلم:
عبد الغفور النعمية

ARCHIVE
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

الاصل ، متأثرا الى حد كبير بالفكر الفرنسي ، تميز بتمكنه من صناعته كروائي ، واتصاف مؤلفاته بوحدة نادرة ، قلها تجددها عند كتاب هذا العصر . اهتم بالتحليل النفسي لابطل رواياته كثيرا . ولقد برع في وصف عناصر الطبيعة في البحر ، فنسور الموجة البحرية الطاغية الزيدة التي ترتفع في ضباب العاصفة كأنها

مجنون هائج بيده مذية ، وزئير الريح الذي يهدد بنية وحشية والصحاح غاضب كل من حدثته نفسه فركب ظهر البحر . ومن احسن رواياته « تافون » التي يحدثنا فيها عن بطلها « كابتن ماك وير » الغني العنيد ، الذي لا يشعر ببطلونه ويظفر بفضل دمه الانجليزي البارد ، وشمسوره بالمسؤولية والواجب بتلك الغريزة

تتميز الرواية الاغترابية عن مثيلاتها من الروايات الانجليزية المعاصرة ، مثل الرواية الميلودرامية والرواية الاطليمية والرواية الاجتماعية ، تتميز بان احداثها تدور خارج الجزر البريطانية ، في الشرق الاقصى على الاكثر ، وابطالها من الانجليز الذين حكمت عليهم ضرورات التجارة او الادارة او السباحة والمغامرة بالمعيش في تلك البقاع الغامضة البعيدة .

ولقد كان للرواية الاغترابية قيمة عظيمة في تاريخ الرواية الانجليزية المعاصرة . وعلى كثرة كتابتها لم يشتهر منهم الا ثلاثة هم « جوزيف كونراد » و « سومرست موم » و « ديفيد ستاكبول » .

كان جوزيف كونراد بحارا وبولندي

قصة قصيرة

نوبة حقة!

في ركن من الشارع اختبأت امرأة ، بدت على وجهها علامات الحقد . بل هي على ما يبدو امرأة تأكل قلبها الكراهية والغيرة . وها هي تخفي في طيات ملابسها زجاجة من ماء النار الحارق . تتف الآن بجسوار باب المقاهي لا تحيد عنه . ما الذي جاء بها الى هنا ؟ وماذا تبغني ؟ جاءت لانها رأت (انا تول) قد دلف داخل المقهى . وانا تول هو ذلك الذي وعدنا بالزواج ثم لفظها وهجرها تاركا اياها بلا رحمة . وكانت فتاة رقيقة خجولا . احبته واحبت فيه وعوده الخلافة والاماني العزيرة وقد توجهت امس الى مقر عمله وانتظرت ساعات طويلة حتى خرج وحدثته دامة العينين . توسلت اليه باكية ان يبقها ذلة الترددي في مهاوي الرذيلة! وان يأخذ بيدها من الحماة التي قادها اليها ؟ فاجابها بلهجة قاسية :

« كلاك توسلا اينها الفتاة !. تقولين انك حامل ، فما بذلك على اني انا الاب ! » .

نعم ! لقد اجابها ذلك الجواب القاسي ، فانقلب حبها في تلك اللحظة الى كراهية عياء ، وعقدت عزمها على الانتقام منه . وتركته جريحه القلب ، بالسة بائسة ! وها هي قد تعقبته حتى راته الان يدخل المقهى

وكتب خلال هذه الاسفار قصصه « اهتزاز غصن » و « مطر » و « سقط ادوار بارفار » و « الساحر المليزي » التي تدور احداثها في تاهيتي وجزر الباسيفيكي ، والتي مزج فيها الواقعية بالرواية الاغترابية . وبعد ان زار هونغ كونغ والصين الف روايته « الحجاب المنقوش » التي تدور حوادثها هناك . وقدم موم في روايته هذه دراسة عميقة مستفيضة عما تحدثه الاقاليم الاستوائية في المغتربين انبيض من تأثير سبيء . وبالرغم من ان روايته « كلك وخمر » تعتمد بصورة رئيسية على ذكريات طفولته ، نجد انها تزخر بنقد لاذع للمعادات والقيم الادبية التي كانت منتشرة آنذاك .

وكان « ديفير ستاكبول » سيد الرواية الاغترابية من نوع « الرومانس » ، وهي قصة المغامرات في البلاد المجهولة البعيدة . ويطغى العنصر الغنائي في مثل هذه القصص على عنصر الواقعية التي لا اثر لها في معظم الاحيان فيها . ومن اشهر رواياته « البحيرة الزرقاء » التي اخرجت في اوائل الخمسينات للسنيما . ويروي ستاكبول فيها حكاية صبي وصبية انجليزيين ، يترعرعان معا ، وفي عزلة تامة على ضفاف بحيرة خلابة في جزيرة استوائية مهجورة . وبالرغم من هذه العزلة التامة التي ينشأ بين احضانها الصبي والصبية ، يتكشfan سر الجنس ، نفتش بينهما علاقة حب ملتصقة . ولقد حكم نجاح ستاكبول في هذا النوع من الرواية الرومانسية ، حكم عليه بان يظل سجين اطوارها طوال حياته الادبية تقريبا ، بالرغم من ان من يقرأ روايته الاجتماعية « سوق المغاربت » التي يصور فيها بصورة رائعة عذابات كهل يقع في حب غانية لندنية مراهقة ، يتكشف وليس بكثير من المشقة انه كان من الممكن ان ينجح في الرواية الاجتماعية نجاحا اعظم .

تأليف :
فرنسوا كوبييه

ترجمة :
فتحية عبد الهادي

منها ! بل كدت يوما ان انتقم من نفسي وانتحر ، ولكن ابنتي الصغيرة حالت بيني وبين الانتحار حتى اصبحت اليوم هي كل حبي وعزائي ! »

وكادت تفلر من عيني اميلسي الدموع . واحسنت انها تخفى في طيات ملابسها رمز الحقد الامعى : زجاجة بقاء النار !

اذ افركت الان انها بذلك انها ستقتل جنبها المسكين وليس عشيقها الفادر !

وسمعت فيكتور يقول لها :

— « حسنا يا اميلي ! اترك الان في سلام لاعود بطفلي الى البيت لاتيح لها الراحة والنوم ! »

فاجابت اميلي على الفور كانتها تخشى ان يضعف عزمها فتتخاذل :

— « انتظر قليلا فساجيء معك ، انتظرني حتى اشترى شيئا من المحل المجاور . وما ان ابعدت عنه خطرات واختفت حتى اخرجت الزجاجة والقت بها ، ثم اسرعت

عائدة الى العامل اليائس (فيكتور) وقد خلصت ضميرها من وطأة الشعور بالذنب ثم قالت له :

— « ارى جورجيت تنقل كنتك يا فيكتور ! منك .. دعني احملها منك ! »

.....

وحملت الطفلة الصغيرة كما تحمل الام الرؤوم رضيعها وهي مستغرقة التفكير في جنبها الذي لم يولد بعد ! ... وسارت اميلسي بجوار الاب فيكتور هادئة النفس ، الى بيتها !

طفلته الصغيرة . وكان الرجل محبوبا محترما من اهل الحي . واستبدت باميلي اضطراب ودهشة ، اذ يجمع بينهما تشابه المصيبة .

قال فيكتور بنبرة حزينة هادئة : — « اعتقد انك جئت لنفسى الغرض الذي جئت انا من اجله يا اميلي ! فانا ايضا اتوم بنزعة قصيرة قبل ان انام . وما ابنتي جورجيت قد نامت على كتفي ! » وانحنى فيكتور واقترب من رأس طفلته الصغيرة النائمة ولم يشعرها الاثغر . واجسدت اميلي عند ذلك باضطراب اذ انها بعد فترة غير طويلة ستصبح هي ايضا ما كما اصبح فيكتور ابا وقالت :

— « ما اروع حيك لينتلك ! »

فاجاب الرجل : — « تعرفين انه ليس لي في الدنيا غيرها . ولكنه من الصعب على الرجل ان يقوم برعاية طفلة رضيعة . ومع ذلك فقد اعتدت على رعايتها رعاية الام ! »

شعرت اميلي حينئذ بالراحة تغمرها وبالصفاء يشيع في صدرها . وامتلأ قلبها بشعور طيب خفف كثيرا من انتقال ازمتها واحسنت بالقدرة على التحمل ومواصلة الحياة من اجل جنبها الذي يتحرك في احشائها . كما انها احسنت بمسئار (اناطول) وخسنته ! قالت ليفيكتور :

— « لقد عانيت أنت يا فيكتور الكثير . فهل راودتلك فكرة الانتقام ؟ ! »

فرمقها الرجل بنظرة دهشة وقال : — « رغم ما لحقني من هجران زوجتي لي لم افكر مطلقا في الانتقام

حيث يلوه مع رفاته ويتسلى بلعب (البلياردو) ، وسيخرج بعد قليل ليالحق بمشيقته الجديدة ! لا .. لا .. فان (اميلي) ستعوق طريقه ، وستنتقم لشرفها المظلوم ولشبابها المضيع . فقد اشترت زجاجة من ماء النار الحارق . وتبعقته وما هي تترصده على باب المقهى لتنتقم منه شر انتقام . نعم . كم سيسرها الانتقام رغم ادراكها ان عقوبتها السجن لا محالة ! ولكنها تدرك ايضا ان اناطول سيمعيش مسخا مشوها . ستحرمه من التبختر في شوارع الحي ولن يستطيع بعد ذلك ان يخدع النساء !

وقفت (اميلي) امام المقهى وقد استبد بها الحقد وبلغت بها الكراهية الى حد فقدان الصبر ! فراحت تنفس عن احتراق اعصابها بالتجول جيئة وذهابا امام المقهى وهي تترصد بعينيها رواد المقهى . وفجأة سمعت صوتا يقول لها :

— « مساء الخير يا اميلي ! » وثابت الى رصدها . والتفتت وراءها فرأت جاراها الذي يطلقون عليه اسم « الاب فيكتور » ، وهو عامل في مصنع السيارات راته يحمل على كتفه ابنته الصغيرة . وهو رجل دمث الاخلاق ، نقي النفس ، رقيق المشاعر . لكنه رجل تفس الحظ . فهو قد تجاوز سن الاربعين ، وقد سبق له ان تزوج بفتاة في العشرين ، ما لبثت ان هجرته نازكة له طفلة رضيعة . ورجع المسكين تحت اغلال هبوه ووخط الشيب شعره . ورغم ذلك فقد احتمل الصدمة من اجل

العربية لغة العين



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

بمقام الشاعرة عفيفة الحصني

ان هذه المعاني التي تنطق بها العين (عين البصر وعين البصيرة) تترنم بمفهوم اللغة في عكر د . اسعد علي وحيويته . فكيف عبر عن ذلك في كتبه (١) ومقالاته (٢) واحاديثه الصحفية والاذاعية (٣) . ؟

١ - العين تحقق قدمية الصدق : ان العين تعكس على شبكيته صور ما تراه بدقة ووضوح وصديق وأمانة . والدكتور اسعد علي يتجلى اهتمامه في كل ما يكتب ، بصدق اللغة ومطابقتها للواقع . والابثلة على ذلك كثيرة اختار منها ما يلي :

١ - في كتابه « فن الحياة فن الكتابة » الصادر عن الاتحاد الوطني لطلبة سورية سنة ١٩٧٧ نلمس بوضوح هذا الاهتمام في جعل الكتابة تضمد الحياة . وقد عبرت صورة الغلاف عن هذه الفكرة تعبيرا غنيا رائعا ، ففي هذه الصورة حرف (ن) ورمز قلم إشارة الى الابهة الكريمة (ن) والقلم وما يسطرون . وهذا

العربية لغة العين اقترح قدمه د . اسعد علي في محاضراته « التراث والمستقبل في عام اللغة » التي القاها في رابطة الادباء في الكويت يوم الثلاثاء ١٩٧٧/١/٤ ونشرت في مجلة « البيان » العدد ١٣٠ كانون الثاني ١٩٧٧ .

وما اروع من اقتراح ان نستبدل العين مكان الضاد في تسمية لغتنا العربية المجيدة . فحرف العين اجمل لفظا واحلى ايقاعا . والعين كالضاد ليس لها نظير في اللغات الاجنبية كما ان العين بمعناها العضوي نافذة البصر والبصيرة في الانسان تطل ، منها روحه المشعة التي تعبر بصدق وصفاء عن مكونات الصدر سرا وعلانية ، همسا وجهارا . والعين سريعة الحركة في التقاط الصور وادراك الحقائق القلبية والحديثة والمتطورة . وهي مرآة مصقولة تعكس صور الآخرين وتنطق ببراءة بما وعته من كلامهم وافكارهم .

ربيع مشرق وثمار للذيذة دائية .
ثم بين الفرق بين الأملثة القديمة الجافة في تولهم :

علمت ان زيد قائم

نعلم ان قد قام زيد

ونعلم ان سوف يقوم زيد

اتحسب ان لن يقوم زيد

ونعلم ان لو جاء عمرو لقرر زيد

وبين الأملثة الخضر المشرقة في تولنا :

افكر ان الحياة جبال

وان عمر حبك سر يقال

وان في اصطبارك يرجى الحال

وان سوف يجني بعب جبال

ونعلم ان قد اتانا المال

ان لو نشاء الغيوب تظال

وان لن يغيب بقلبي الجبال

فالأملثة القديمة منفرة بجمودها وعدم مطابقتها
للاواقع .

والأملثة الحديثة ترغب الدارس بحيويتها وجبالها
وطموحها .

وقد اشار في (٦) قصة القواعد الى ضرورة حصر
القواعد الجوهرية ثم عرضها بأملثة من حياتنا العملية
توضح صلة اللغة بالحياة وتؤكد ان اللغة قواعد حياتنا
منها تنطلق واليها تعود وبها نعبّر عن اهتماماتنا ومحباتنا
وننصل بفكرنا .

ج - في سلسلة مقالاته : « من عام المرأة الى عام
الملكة » التي نشرها في جريدة الثورة سنة ١٩٧٦ نلاحظ
اهتمامه بشروط التشديد على الصلة بين الصيغة
المستعملة ومعناها من ذلك قوله : « الكلمة الممارسة
أخلاق ، كلمة الوعد تنفذ وكلمة النهي تنفذ ، وكلمة
التربية تنفذ ، ولغة الاخبار تصور الحقائق
الحاصلة » . (٧)

وقد عرض في هذا المقال قيمة الانتقال الى
التدبير ومحاكاة الطبيعة في حركتها ، فالإنسان حين
يهم لغة الطبيعة الحركية « يزيد من حركته الإنسانية
ليعابرها ويتفاهم معها فتطيعه » وضرب مثلا على ذلك
لغة النار ولغة الماء فاذا فهم الإنسان لغة النار وحاورها
بها استطاع ان يجعلها في خدمته ويستفيد منها . واذا لم
يتفاهم معها احرقته ، وكذلك الماء « فاذا حاورنا الماء
حاورا صحيحا بلغة الماء وصلنا الى مواسم الخير فيه
على صعيد الزراعة والصناعة والعبادة » وان لم نفهم

يعني ان منبع الكتابة الخلاقة يستمد من منبع السروح
ويطابق الحقيقة المطلقة . وفي الصورة ايضا حرف (ح)
اشارة الى الحياة وفيها صورة (عين) اشارة الى ان
هذا الكتاب يرشد الى مطابقة الكتابة للحياة والواقع
كما تطابق صورة الحياة خيالها في شبكة المسنن ،
وكما تطابق الحركات حقائقها في عين البصرة الازلية .
والكتاب في مختلف ابوابه وفصوله يهدي الى هذا
المنهج المستقيم ، وقد اشار المؤلف الى ذلك في نواح
كثيرة مثل قوله : « المعلمون وسطاء الحياة ، يملغون
منابع الالهام ويخبرون عنها ، ويحرصون على بلوغها ،
ويمهدون السبل بين الاجيال وبين تلك المنابع لتحقيق
الاجيال الجديدة طموح الحكمة والعلم في انسيطرة على
الكون وتوجيه تواء ليكون المستقبل كما يحبون لطاقاتهم
ان تتفتح : حبا وحرية وقوة » (٤) .
ومثل قوله :

« ان سياسة اللغة هي فن الكتابة ، واحسان هذا
الفن صور من احسان الحياة ، لان اللغة والحياة
يتجادلان حول الشروق والغروب على كرة الابداع » (٥)

ب - وفي كتابه قصة القواعد ومسلسته الاذاعي
الاسبوعي « اللغة والحياة » يعطينا صورة حية عن
كيفية تنفيذ القول وترجمته الى عمل في حياتنا العلمية
والخاصة ويربط بين اللغة والحياة بأسلوب مشوق ويفتح
الشبهة للاجبال على دراسة اللغة وقواعدها ، ويعين
على فهمها وتعلمها . انه يعطي دروسا نموذجية في
تعليم اللغة بأسلوب حوار يربط بين القواعد النحوية
والالفاظ اللغوية ، وبين ما يشابه ذلك في الحياة من
حركة ونشاط . وقد عبر عن هذا المنهج بقوله :

« فكرت بما يبني من حروف المبنى فكأنها البذور
الصغيرة التي تثبت نبات الارض كله واشجارها كلها
فمنها يبني الاعمال والمصادر والاسماء والضمائر وحروف
المعاني ، وهذه اجزاء الكلام البشري كلها » . وقد
وضعت هذه الفكرة بدرس نموذجي اذيع بمشقى في
مسلسله الاسبوعي « اللغة والحياة » بتاريخ
١٩٧٦/١٢/٩ تحت عنوان « حنان الرغيف في قواعد
التخفيف » . شبه فيه قواعد اللغة والاملثها القديمة
الجادة بالبذور القاسية الجافة . ولكن هذه البذور فيها
وحدة الذات والمجتمع ، ووحدة الواقع والخيال ووحدة
الحاضر والاتي . فاذا ما بذلت العناية في تنقيتها
تحولت بذرة القمح الجافة الى حنان الرغيف الذي
يفوق كل حنان لانه قوام الحياة ورمز التعاون الاجتماعي ،
وتحولت بذرة اللوز القاسية الى ازهار مشرقة وثمار
يائعة ...

وكذلك اللغة اذا تنفتحت صيغها بأملثة حيوية على
المستوى النفسي والاجتماعي والجمالي تبسّمت مسنن

لغة الماء ولم نحسن التعامل معه فنقد يفرقنا
ويذكرنا .

هذا اللون من ألوان التوافق بين اللغة والواقع ،
عرضه د. أسعد علي في هذا المقال عرضاً علمياً ،
وسبكه في مقالات أخرى سبكا أدبياً يشد الهبة ويفتح
القرية ، ويهدد العاطفة والخيال ، ومن ذلك قوله :
« اللغة تختزن قواعد الحياة الأصلية الجميلة وتلهم
الأجيال من تلك القواعد حياة جديدة أصيلة وجبيلة » .
وقوله : « أريد التحرك مع الحياة المتدفقة ، أريد
أن تكون اللغة مثل الحياة وأن تكون الحياة مثل اللغة .
وهذه قضية تحتاج نشاطاً وإخلاصاً ليلظ الإنسان في
مستوى لغته فإذا قال قولا كان فعله في مستوى قوله
وكان صادقا بخلصا معاً » .

وقوله : « وربما كان تفنن اقتراح عام اللغة
مؤشرا إلى ضرورة اللغة المعبرة عن الواقع أقرارا
وتفيرا . فاللغة إذا لم تتصل بالواقعية الحياتية
تصبح نظرية أو قاعدة مطلوبة القوة » . (٨)

ولشدة اهتمام د. أسعد علي بتحقيق واقعية
اللغة شبهها بالمرأة وتمنى لو تجسد اللغة امرأة
ليعشقها الناس كما يعشقون المرأة ولتكون وسيلة
للخود والاستمرار كالمرأة ثم انتهى إلى القول :
« الحقيقة والمرأة واللغة ثلاث ركائز يرتفع عليها العقل
والقلب واللسان لتحقيق طموح الإنسان الأسمى فالعقل
يطمح إلى الحقيقة والقلب يطمح إلى الجبال واللسان
يطمح إلى البيان » .

د — في اشعار د. أسعد علي تعبيرات رائعة
في الحث على مطابقة اللغة للحياة . من ذلك ما جاء في
تصديده لآثك حبيبتي :

بالحب تنفخ الأشياء والأسماء

ينشد القول والعقل

ينجبان صبيبا

يدعوانه الصدق

ويرزقان بنفا

يسميانها الوفاء

وفي تصديده « زنجية في بلاد السويد » (٩) :

كوني كما شئت

ما دامت محبنا

فعملا

يفخر لؤم القاسم

والحيلا

وفي تصديده « شروق الحياة من ضمير البلور » (١٠)

« الشاعر الاصيل لا يتخيل

انه يرى

يرفع الستار عن وجه الكون

فيرى اصل الاشياء

وانا اراك في الاصول

وفي حركة القصود

وفي سر الحياة

وفي غنغنة الاطفال

وفي وثبة الاجيال

٢ — **المين تتحرك بنشاط دون تراخ ولا انانية :**

ليس هناك اسرع من المين في حركتها وتبهمها
للمرئيات ، وهي لا تحتفظ بهذه المرئيات لذاتها وانما
تأخذ وتعطي فهي مثل حي في النشاط والخدمة
الاجتماعية دون تراخ ولا انانية .

والدكتور أسعد علي يحذر كثيرا من التراخي
والانانية لانها مرضان يفتكان بجسم العالم . وقد
الح على مكانتهما في مختلف كتاباته ومحاضراته . من
ذلك :

١ — محاضراته (١١) « **البداءة الحققة** » التي عرض
فيها تواتي هيئة الالم والجامعة العربية وغيرها من
المؤسسات الاجتماعية والسياسية ، عن تنفيذ
الشعارات التي تتبجح بها . وعزا ذلك إلى الامبال
والانانية ، ودعا للمودة إلى الخلق البدوي الذي هو
اقرب إلى الخير من أهل الحضرة ، كما يقول ابن خلدون
في مقدمته ، وكما يصور فيها ان البداءة سر الحوية
والنماء ، في عبر العالم .

وفي رأي د. أسعد علي ان البداءة اذا قرئت
تراءة حذيفة توظف في الاجيال العربية قوة المثل الاعلى،
فالحفر في أرضها يؤكد « انها ممتلئة بالطاعة ، كما يؤكد
الامان في اخلاق البدو ان في خزائن مواهبهم حبا للخير،
وشجاعة ، وقابلية تطور ، واصالة حرية ، وطبعاً
ميسلا إلى التوحد بالدين على انسه الوجهة للمثل
الاعلى (١٢) .

ب — ان كتاب د. أسعد علي : « **فن الحياة** » من
الكتابة « حامل بالابنطة المتقدة نشاطاً وجباسة ، واول
ما يطالعنا بهذا الانتقاد الاهداء الذي جاء فيه :

« اليك ...

فقد رايت روح التاريخ

يجاهد في اعمالك

ويتوجع في اقوالك الى روح المعلم الذي اطل منك

ومنه
ومنها»

وتكفي صيغة هذا الاعداء لنعرف ان الكتاب
مستوحى من الجهاد في الاعمال والتوجه في الاقوال اي
من الحيوية التي لا تعرف التراخي ولا الانانية .
والحق ان من يطالع هذا الكتاب ويمعن النظر في
حيويته يبدو له روحا متوجهة في جسم شف والامثلة
على ذلك كثيرة تنطق بها كل صفحة من صفحاته بل
كل كلمة من كلماته في صفحاته او على غلافه .
فعلى غلاف « الانهام في منابع الكتابة » (١٣)
آيات مقتبسة من تصيدة للؤلف عنوانها رسالة الحب
المخصب جاء فيها :

لحظات التجلي تعلم القلب

لفات جيدة :

لفات النظام

لفات الارادة

لفات المحبة

ان زمان التبع امكنة اخرى

القواني لها مكاتب

كل مكتبة تجمع تاريخ جيل

تجاوزت السهول والجبال

وعشت مع كل الاجيال

فاية حيوية واي نشاط واية همة تتجسد في هذه
الكلمات الصغيرة المبني ، العظيمة في الهمة والمعنى ؟!
ومن هذا القبيل ايضا قوله في هذا الكتاب (١٤) :
« لا اذكر انني واجهت شروق الشمس وما يصحبه
من موسيقى الكون الا نهض في نفسي حنين يحررني من
جوانب الواقع ويدفعني في افاق جديدة اعود منها
محبلا بهواسم حساسة وحب ، اوزعها على وقائع
حياتي فتنهض وتتجدد كأنها فهمت معنى لفظة
الشروق .

ولا اذكر انني كتبت تصيدة او بحثا الا فتح لحنيني
ما يفتح الشروق من افاق ، كل وضع كتابي صحيح مثل
وضع شروقي بهيج .

ج - وفي كتابه « الطلاب وإنسان المستقبل »
يتجلى ايضا هذا الطموح والرغبة بل الاصرار على
التفكير باجلى معانيه . ومن ذلك قوله (١٥) : « اقرأوا

سير عباقرة العلم وقصص المخترعين .. اذا فعملتم
ذلك عرفتم سر تفوقهم وتأكدتم ان الفردية بمعنى
الاستقلال الذاتي الحر ، هي التي جعلتهم عباقرة
مخترعين » .

د - وفي كتابه « الإنسان والتاريخ في شعر أبي
تمام » نلنس حساسته وهو يحلل شعر أبي تمام ويخاصة
أبياته التي يقول فيها :

من لي باتسان اذا اغضبته

وجهلته كان الحام رد جوابه

واذا طربت الى المدام شربت من

اخلاقه وسكرت من ادابه

وتراه يصفي الحديث بقلبه

وبسمه ولعله ادرى به

ويعلق على هذه الايات بقوله (١٦) :

« لهذا النص الصغير في ديوان الطائي ما للقلب
في الجسم الكبير من منزلة » . ثم يقول : « بدأت من
حيث اراد أبو تمام ، بدأت البحث عن جوهر الانسان
الحي ، الذي يتواجد مع الوجود فيصنعه ويغيره ليكون
التاريخ » ، وبعد ما يحلل النص تحليلا مسهبيا يقول(١٧):
« هذا ما تهمس به رموز النص ، اما ما تحض
عليه الانسان العربي المعاصر فينبغي الا يقل عن اتخاذ
موقف ازاء النفس والمجتمع والمستقبل ليشارك في
تاريخ امته .

فربما يفسح افلا اعلى واضحا متميزا ، ويسلك اقوم
السبل الى مثاله .. ويعتد العزم على التحمل والمشقة
بغية ادراك الهدف المقصود لآخره فرديا ، ولخير امته
قوميا ، ولخير عالمه انسانيا ... »

هـ - نققد الحماسة في شعر د. اسعد علي لارادة
التغيير من واقع جامد بارد كاللحم الى مستقبل مبدع
دائم الحركة . ويتجلى ذلك اكثر ما يتجلى في ديوانه
« عاصفة » والمقصود بالعاصفة كما يبدو من صورة
الغلاف ومن معاني قصائد الديوان ، عاصفة الصراع
مع الشر فعلى الغلاف صورة امني تتصارع مع سر .
وقصائد الديوان كلها تعطينا صورة مجسدة لهذا
الصراع عرّض الشاعر تحليلا لنماذج منها في كتابه فن
الحياة فن الكتابة جاء فيه (١٨) :

« بنيت عاصفة على قصة مثيرة : يقال ان الشاعر
راى عاصفة من الريح ترسم مداراتها باتجاه معين
فسألها : الى اين تذهبن ؟ فالتفت ذلك الجبل
الراسي ، من مكانه . ففحصك من جهتها الصغير وكلامها
الكبير وراقب حركاتها وهي تدور وتدور وتتحوّل اجنحة
ومناتير ثم تلحم بصخور الجبل الراسي العتيق ،
ونجاة تخفي الصخور ، وتتدفق المياه وتبدو جنائن

الطاقات الكائنة بالإنسان وتعيد الله عبادة واعية مستترة .

وليست هذه الثورة قاصرة على ديوانه « عاصفة » وإنما تتجلى في سائر أشعاره كقوله (٢٢) .

« أنا بركان ينثور

يسدور

يدفع الصخور

يزلزل الأرض

يجرد البحر

يرتفع نامورة

لا تنكسر

حتى تخترق ثغر السماء ... »

٣ - المين وسيلة للمصالحة بين الظاهر

والباطن :

ان عين البصر تدرك بالاحساس الماديات الظاهرة، وعين البصرة تصالح بين شتى المدركات الحسية ، وبين منبهما الواحد الكائن في باطن الإنسان . وفلسفة د. اسعد علي تقوم على هذه الفكرة فكرة التوحيد والمصالحة بين الظاهر والباطن ، نلمس ذلك في كل ما يكتبه ويقول سواء اكان فلسفة ام ادبا ، ام مقالات سياسية او اجتماعية .. ان رائدة الوصول السى الحقيقة المطلقة وتبصر الناس بها . وفيما يلي نماذج من اقواله نل على صحة هذا الاتجاه :

١ - جاء في مقاله (٢٣) رياضه الوقت على اكتاف المعلقة في عام اللغة « قوله : « انني اجرب تنفيذ الوصية الابوية فاجعل عيني وفي مرايا للحق ، اعني بذلك تربية لسانى على نقل كلمة الحق التي تعلق بالقلب وترجع الروح » ... وقوله : « كما اراد ابي تربية لسانى على قول الحق ، فانه اراد تربية عيني على استكشاف الحقائق والتعرف اليها ... »

ب - جاء في كتابه معرفة الله (٢٤) « بغير المعرفة معرفة الله المطلق لا تكتسب القدرة المحولة » ويريد بالقدرة المحولة السيطرة على الطبيعة ومعرفتها حق المعرفة ، للاستفادة منها وجعلها في خدمة المخلوقات .. ومما جاء في هذا الكتاب ايضا قوله : (٢٥) : « كل عين للخلق نافذة على عين الحق واقتراضي من خلقه املاالات عليه » وقوله (٢٦) : « وفي المذهب الديني رايت تصالح الظاهر والباطن في نصوص الكرون فالظاهر انزله الله هدى للبشر ينتظمون بشريعته ، والشريعة ام كل ذرارها اخوة الباطن عمق للظاهر او قبة له والحق يدرك باتباع الظاهر والغوص

الاطفال ويشرق العالم الجديد ، عالم السعادة والحرية والنور .. تلك هي قصة « عاصفة » تتكرر في كل قصيدة » .

ففي قصيدة وردة في الصنيع يعرض قصة وردة تحب النسيم ، ويخطبها الموت فتلجأ الى امها الارض تستغيث بها وتنتشيت حين يدفننها الموت تحت الصنيع طوال الشتاء . وعلى اثر هذا الصمود والتثبث تنتمصر ارادتها ويأتي حبيبها النسيم في الربيع لينقذها من خطيبتها الموت (١٩) :

« وسمعتها تبكي .. تعلم في

لفظ الحروف وآلة الوجد

وتشد انفارا يقطعها

وقد الحنين وقسوة الجهد

ورابت لهفة امها انتشرت

بصرع ما تخفي وما تبدي

ضبت اليها البنت صامدة

يرمي التحدي شوقها الوردى »

الى ان يقول (٢٠) :

« لس النسيم القبر فانتمعت

فيها الحياة وصوبة العد

قامت بفعل الحب شامخة

عند الربيع حبيبة الورد »

وفي قصيدة (٢١) « روح عاشق » يقول :

عشقت الأرض محتضنا بنينا

باجنحة الصعود انا البيارق

انا العربي مخترعا مصري

احب الله اعبده معاشق

سلاحي ما يحاربني عدو

افوق به واصفق من يصاغر

اصير بامة امها ودينيا

تؤذن من معابدها لخاق

تفاعله مخاברה بلم

وطاقات تفجرها الخلائق »

فالثورة من اجل التغيير والصعود انى قمة المجد واضحة كل الوضوح في هذه الابيات التي يريد بها الشاعر ان يخترع العربي مصيره دون ان يعتمد على يد دخيلة تخطط لهذا المصير ، كما يريد ان يحقق الوحدة فتصبح الامم المتفرقة امة تهتم بالمعلم وتفجر

اكتفى بهذه الأمثلة التي تسلط الضوء على ما فهمته من فلسفة د. أسعد علي وما أرادته من اقتراحه : جعل العربية لغة المين ولا أخال أحدا عربي الفكر والخلق واللسان ، لا تنقد نفسه حساسة للاهتمام بهذا الاقتراح والسعي الى تنفيذه :

ان المين همزة الوصل بين العالم الخارجي والعالم الداخلي فبالعين نكتب وبالعين نقرا وبمعين البصرة نعبّر عن الماضي والحاضر والمستقبل دون اغفال لما يستجد من مخترعات ومبتكرات علمية أو فنية أو أدبية . وان تنفيذ المشروعات وترجمتها الى عمل ، على جانب كبير من الأهمية وبخاصة في الامة العربية التي انتقلتها الصعرات واخفنتها النظريات وشغلتها الخطب والمقاتلات عن حيوية الفعل وإيجابية البناء وسرعة الانجاز .

فلا عجب ان نرى الفكر الملهم والفيلسوف المبدع د. أسعد علي الغيور على تقدم الامة العربية ورتبها يطالب باصرار وبالحاح بمطابقة الفعل للقول وإحياء ما يصلح من التراث العربي لخدمة الحاضر والمستقبل ، وبسرعة الانجاز والتخلي عن الانانية في سبيل (الانت) والمجتمع والحقيقة ، وقد فسر لفظ (انسان) مثنى انس اي (انس + انس = انسان) وعلى هذا فالمرء لا يكون انسانا الا اذا كان مزيجا بين الانا والانست لا فسوق بينهما .

واهم من ذلك كله الجهاد في سبيل الوصول الى الحقيقة المطلقة التي تهب القدرة على العمل والحركة وتحويل الواقع الجاهل الى مستوى اعلى مشع ومتطور ومتحرك ...

وقد عبر د. أسعد علي عن افكاره بأسلوبه الرائع وخياله المخصب وحجاسته المثاقفة . وبدأ بنفسه في تنفيذ ما يقول . وفقه الله وجزاه عن الامة العربية والاسلامية والانسانية عامة ، ما يليق بجهده وجهاده وتبته لخدمة الحقيقة .

عقيدة الحصني
عضو اتحاد الكتاب العرب
— دمشق الجديدة —



١- من كتبه المطبوعة : معرفة الله والكرون السنجاري — فنّ
التعجب العلمي — الانسان والتاريخ في شعر ابي تمام — الطلاب
وانسان المستقبل — تهذيب المقدمة اللغوية للعلايلي — قصّة
القواعد .

الى اعمائه او الصعود الى قمه »
« وبهذه المصالحة بين الظاهر والباطن ينبو الصلاح فنمو السنة والشيعه على غصن واحد ، عندما يكون حمدي السنة مثلا يصبح المسلمون شيعه له . ومن هنا كان تشيع من تشيع لعلي تمسكا بتسنن علي الكلي » .

وكما تزهّر السنة والشيعه على غصن واحد فقد ثمر العلوية سنيا وعلويا ...
«فالعلوي نسباً قد يكون سني المذهب وقد يكون علوييه والعلوي ولاء ، لا يشترط به الا الولاء لمذهب علي في التزام السنة النبوية » .
« واذا كانت العلوية الولائية تعني ولاية علي وال بيته فان المسلمين يلتقون بالعلوية عندما يختبون صلواتهم بالصلوات الابراهيمية على محمد وال محمد كما صلى الله على من اصطفى من ابراهيم وال ابراهيم » .

ج — استهل كتابه من الحياة من الكتابة بهذه الابيات

صيف لا تعد كاوراق الاشجار

لكن الصيف تتحد بماء التبغ

غمرني التبغ بروح القويحيد

فاشرق كل شيء من جديد

وارسبني شلال دفعه

لاروي الوجود

بروح الربيع السعيد

فاغسل الطبيعة والانسان

بروح التشاؤم وروح الحنان »

انني افهم من هذا الاستهلال ان غاية هذا الكتاب وهدفه الاسمى الغوص على الحقيقة المطلقة والاستدلال عليها بصيغ الحياة المتنوعة ثم التعبير عنها بأمانة واخلاص بصيغ الكتابة والتعبير . وقد عبر عن هذه الفكرة ايضا في مستهل الباب الثالث من هذا الكتاب « ممارسات الالهام » بالصور التالية :

ارايتم الشمس

تتلق في قطرة ندى

على حاجب برغم ورد

تبييل الصباح

كذلك تشرق الروح

في حجه الصفر



النسر والحفيظ

شعر
عبد المجيد لطفي

يظنون بي شتى الظنون فتارة
همام وأخرى خائر وجبان !
وثالثة .. شيء مضاع أضله
خيال من الدهر الكنوب - مدان
بلى أنني شيء تداعى وناله
رخيصا على مرأى الكرام ، سنان !
امن بسف تيكين والموت هزاة ؟
ودمك لو يدري الزمان ، جمان
ويشفيك أني قد شقيت وأنني
أخو سفر لا يحتويه مكان
فهل يلزم النسر المطلق في العلى
حفيضا وفي الاقنق البعيد جنان ؟
فلا تحزني ، ان مسني الكرب والقوى
طريقي ، فمعرض الاكرمين مصان

عبد المجيد لطفي
- بغداد -

٢- نشرت في : جريدة الثورة - مجلات الموقف الادبي والفرسان
والاداب الاجنبية والثقافة السوريات وفي مجلة البيان الكويتية
والاخبار الإيرانية ، والفجوي السعودية .

٣- له مسلسل اسبوعي يذاع من دمشق بعنوان «اللغة والحياة».

٤- ص ٨

٥- ص ١١٢

٦- ص ٦٨

٧- من مقال نشوي جريدة الثورة العدد ٣٩٦، تاريخ ١٧-١-٧٨

٨- من سلسلة مقالاته : «من عام المرأة الى عام اللغة» المنشورة
في جريدة الثورة سنة ١٩٧٦

٩- مجموعة من مقطوعات شعرية نشرها في مجلة الموقف الادبي
العدد ٦٧ تشرين ١٩٧٦

١٠- نشرها في مجلة الموقف الادبي العدد ٦٤ اب ١٩٧٦ .

١١- التي محاضرة قية بهذا العنوان في المركز الثقافي العربي
بدمشق بتاريخ ٢-١٩٧٦ .

١٢- جريدة الثورة العدد ٤٢٧١ تاريخ ٢٣-١-١٩٧٧

١٣- وهو الجزء الاول من كتاب «فن الحياة فن الكتابة»

١٤- ص ١٢٠ وص ١٢١

١٥- ص ٧٩

١٦- ص ٢٠

١٧- الانسان والتاريخ في شعر ابي تمام ص ٢٨

١٨- ص ٢

١٩- عاصفة ص ٢٠

٢٠- ص ٢٤

٢١- عاصفة ص ٢

٢٢- ص ٤٧ «لأنك جينيبي»

٢٣- جريدة الثورة العدد ٤٢٦٥ ١٥-١-٧٧

٢٤- ص ٣ ١٦

٢٥- ص ٢٩ ١٦

٢٦- ص ١٢٧ ١٦



كيف كتبت
روايتي

« قصة انسان حقيقي »

قصة الكاتب السوفياتي : بوريس بوليفوي ترجمة : احمد فارس

ARCHIVE
<http://archive.aleks.sakurib.com>

تعريف بالكاتب :

ولد الكاتب السوفياتي المعروف
بوريس بوليفوي في موسكو عام
١٩٠٨ . اخذ يعمل في مهنة حياته
في الصحافة والادب ، وقد مرت
اربعون سنة وهو يعمل في هذا
المهنة . عمل مراسلا حربيًا

لجريدة (البرافدا) في الحرب العالمية
الثانية .

له اربع روايات وسبعة عشر
كتابا تحوي على قصص قصيرة
ومقالات متنوعة استهد مادتها من
حوادث الحرب .
يشغل حاليا منصب رئيس تحرير

مجلة « يونوست — الشباب » . وهو
عضو اللجنة السوفياتية للدفاع عن
السلام . وحاز على جائزة الدولة ،
التي منحت له لقاء روايته « قصة
انسان حقيقي » موضوع بحثنا هذا .
(العرب) .



١ -

« طيار بدون قدمين — هذا
مستحيل » .

كنت في زمن الحرب اعلا مراسلا
حربيا . وفي احدى المرات حدثوني
عن مجموعة من الطيارين استطاعت
ان تحطم اكثر من اربعين طائرة

المائتة فاشية خلال تسعة ايام فقط .
وفقدنا بالمقابل خمس طائرات وثلاثة
طيارين .

مثل هذا النصر لم يكن بالامر
السهل وله قصة طويلة .
اخذت الطائرة متوجها الى مكان
تواجد هذه المجموعة كي اكتب عنها

مقالا في جريدة (البرافدا) . هبطت
في احد المطارات الحربية وكان
الوقت اذذاك مساء . وكان اليوم
الذي وصلت فيه من اقصى الايام
التتالية . فقد بلغت عدد الطلعات
التي قام بها طيارونا في هذا اليوم
ثمانية . قال لي قائد الوحدة بادب

جم ، بأنه تعب جداً ولا يستطيع أن يدلي بأي شيء الآن ، كذلك كسان الحال بالنسبة لبقيّة الطيارين ، فقد كانوا منهوكي القوة .

في هذا الوقت عادت آخر طائرة وحطت على أرض المطار ، وخُرج منها شاب لا أذكر بالضبط من قال لي بأن هذا من خيرة طيارينا ، لذلك لم أترك الوقت يمر سدى فانطلقت نحوه بغية التحدث معه . قال وهو يبتسم « أقسم بشرفي لا أستطيع غد نال التعب مني .. وبالكاد أقت على قدمي » . ولكن ثل لي هل تناولت طعامك ؟ بالطبع لا ؟ إذا هيا معي الى مطعم وحدتنا لنناول معاً طعام المشاء . وافقته على ذلك . في الحقيقة أعجبت بهذا الشاب الذي يضح بالحيوية والنشاط والمرح .. سرنا في طريق ضيقة عبر الغابة ، وفي الطريق لاحظت أن صديقي الجديد تعب كما ذكر فقد كان يسير ببداً وبصعوبة .

وبعد أن انتهينا من تناول الطعام ابتردني سائلاً :

— أين ستنام ؟ تعال معي الى غرفتي فلدي سرير فارغ .

ثم عقب قائلاً :

— أنه سرير زميلي واعتقد أنه لن يعود هذه الليلة ، وأن عاد فاته سيأتي في وقت متأخر .

انطلقت معه الى غرفته وهناك راح ينظف أسنانه طويلاً ثم غسل وجهه ويديه . ثم راح بعد ذلك ينضو ما عليه من ثياب .

وفجأة سمعت صوتاً لشيء ثقيل يسقط على الأرض ، الأمر الذي لفت نظري . نظرت نحو مصدر الصوت فالتفت أن صديقي الجديد قد ترك شيئاً لم تصدقه عيناي للوهلة الأولى . لقد ألقى بقدميه الخشبيتين .

طيار بدون قدمين ، هذا ما لم تستطع

عيناي أن تصدقه .. هل حقاً هذا هو الطيار الذي طلع اليوم في الجو ثلاث طلعات وحطم ثلاث طائرات فاشية ؟ هذا غير ممكن .

ولكن قدميه الاصطناعيتين كانتا تتحدثان بالكثير .

لاحظ صديقي دهشتي فأبتردني سائلاً :

— ألم تدرك هذا من قبل ؟ — كلا .

— حسناً ولكني أتعجب من أن احداً لم يخبرك بذلك . قلت :

— ولكن هذه معجزة ، فناريخ الطيران لم يعرف مثل هذا .

— أن تاريخ الطيران لم يعرف بعد شيئاً ، ولكنه سيعرف الكثير الكثير من خلال طيارينا . بالنسبة لسي لا أحب التساؤلات التي تنال على متى ؟ كيف ؟ أين ؟ ولكني أستطيع أن أقص عليك كل شيء . فغداً سترحل وقد لا ألتقي ثانية ، فإن كنت ترغب في سماع قصتي فساؤروها لك .

جلس على السرير وأخذ يسرد علي قصته وادركت فوراً من الكلمات الأولى أنني لا أسمع حديثاً عادياً بل هو أشبه بالخرافة والأساطير ، تناولت دفترتي الملقى على الطاولة ورحت أدون ما أسمعه بتفصيل وأسهب . أملاً للدقـتـر الأول فتناولت الثاني .

— ٢ —

« تاريخ الطيران لم يعرف الكثير بعد سأتقص عليكم الآن بشكل مختصر ما رواه الطيار الكسي ميريسيف . في إحدى المعارك الجوية انتفضت اربع طائرات فاشية معادية على طائرته فاصيبت وسقطت فوق غابة كثيفة . وسقط الكسي على شجرة شربين ضخمة هزمة ، وجعل يتدحرج فوق أغصانها حتى هوى على كتيّب ثلجي ، بعيد الفور كانت اربع قد كدسته عند قاعدتها . وهذا

هو الذي انقذ له حياته . لكن قدما الكسي تهيئنا ولم يعد بالإمكان السير عليهما . عند ذلك قرر الزحف حتى يصل الى خط الجبهة حيث الإمداء . ظل يزحف في الغابة العذراء ثمانية عشر يوماً استطاع خلالها أن يقطع مسافة كبيرة ويقترب من هدفه . كان أول من عثر عليه فلاح عجوز يعيش بالقرب من الغابة نقله الى بيته ثم أعلم عنه المطار وأخبرهم بأن الطيار جريح ويحتاج الى الإسعاف السريع والا سارق الحياة . حضرت طائرة خاصة وأقلت الكسي الى موسكو ثم نقلته الى المستشفى العسكري حيث انقذت حياته فيه . ولكن كان لا بد من بتر القدمين المتعفنين . كانت أمانة الكسي بعد بتر قدميه العودة الى الطيران بأي شكل من الأشكال فهو يعلم تمام العلم بأنه لا يصلح لأي عمل آخر .

أخذ يحلم في أحلك الأيام التي تلم بوطنه بشيء واحد الا وهو العودة الى الجبهة .

وكان أحد القادة الجرحى من الذين يرتدون في المستشفى مع الكسي يفكر بكثيره بمساعدة الطيار الشاب .

وفي إحدى المرات عرض على الكسي مقالة من مجلة قديمة .

كانت المقالة تتحدث عن طيار روسي يدعى فاليريان غوربوفيتش عاد الى الطيران بالرغم من أنه كان قد فقد إحدى قدميه في الحرب العالمية الأولى .

قال الكسي وهو يقرأ المقالة : — كانت له قدم اصطناعية واحدة ، أما أنا ..

أجاب القائد الجريح :

— ولكنك مواطن سوفياتي مثله . — كان يطير على طائرة من طراز (فورمان) وهذه ليست بطائرة ..

الكتاب الفاشيين الذين خططوا
للنظرية الحثيرة (نظرية العرق) لم
يستطيعوا ان يدركوا جوهر الانسان
السوفياتي .

وفجأة فغزت الى ذاكرتي صورة
الكسي ، ف تذكرت حياته وبطولته
فقررت هنا في هذه المدينة الالمانية ان
أحدثهم عن انسان بسيط ساهم في
تعليم الفاشية وقادتها .

كان ما كتيبه لا يزال في حوزتي ،
وعندما عدت الى الوطن اخذت
بالتكتابة عن الكسي ..

لم استطع ان اكتب الكثير مما
رواه لي بطلي ، بالإضافة الى اني
نسيت الكثير مما كان قد رواه ولم
يستطع قلبي ان يخطه . لقد غيرت
الكثير من اسماء الأبطال ، واعطيهم
اسماء جديدة لأولئك الذين ساعدوا
الكسي في اجتياز محنته .

لقد قررت ان اسمي كتابي
(قصة انسان حقيقي) لان الكسي
انسان سوفياتي ، لم يستطع غيرنغ
وغيره ان يفهمه ، ولان قصة الكسي
قصة حقيقية وليست من نسج الخيال
ولان هناك بعض الأشخاص الذين
لم يتعلموا من دروس التاريخ ولا
يزالون يحلبون بالسير في الطريق
الذي سلكه هتلر . من اجل هذا كله
قررت ان اسمي روايتي (قصة
انسان حقيقي) .

نشع بالفداء والعاطفة المتقدة .

— ٣ —

كيف كتبت روايتي (قصة انسان
حقيقي) ؟

في تلك الليلة لم استطع النوم .
فحدثت الكسي هزني بعنف . كنت
اعتقد بان كل ما سمعته خرافة ،
ولكن بطل هذه الخرافة ينال بالقرب
منى وقدها الخشيبان على الارض
ابامي .

لم اشاهد الكسي بعد ذلك الحديث ،
ولكن كان بحوزتي دفترين يضمنان
قصة هذا الانسان .

أردت ان اكتب عنه ولكني لم
استطع . فحدثته الذي سمعته ترك
انرا لايحيى من ذاكرتي ، الامر الذي
جعلني اشعر بان كل ما ساكتبه عنه
سيبدو ضحلا وضئيلا .

وضعت الحرب اوزارها . وحضرت
مع غيري من الصحفيين السوفيات
مؤتمرا للحكبة العسكرية الدولية
في مدينة نورينبرغ حيث جرى استجواب
القائد الالمانى (غيرنغ) وقد صرح هذا
القائد امام الصحفيين وامام الحكبة
بان الحكومة الالمانية عرفت الكثير
عن الصناعة السوفياتية ، عن عدد
الدفاع ، والطائرات والدبابات ،
ولكنها لم تكن لتعرف الانسان
السوفياتي على حقيقته ، الامر الذي
قادها للهزيمة . كنا نسمع بفخر بان

— اعود فأقول انك مواطن مثله .
لم يغض جنن لالكسي بل كان
ينظر على الدوام الى صورة الطيار
التي ترافق مقاتله ويخاطبها :

— لقد صادفك بعض الصعاب ،
ولكنك حققت في النهاية ما تصبو اليه
واعتقد ان الصعاب التي ستستف
ابامي ستكون اكثر يمشرات المرات ،
ولكني لن اكون اقل منك تصميما
لتحقيق ما اريد .

وباصرار ومثابرة انطلق لتحقيق
هدفه . فقد تعلم في البداية السير
على القدمين الاصطناعيين بمساعدة
المعازين ، ثم بدونها ، وتعلم
الرقص والركض ايضا .

كان الامر بغاية الصعوبة ، حتى
انه كان يفقد وعيه في بعض الاحيان
من شدة الألم ، ولكنه لم يستسلم
للأيس بل تابع تمارينه الشاقسة
المضنية . كان يتمرن في المستشفى
ومن ثم في المحس .

مثل امام اللجنة الطبية
العسكرية فلم يلاحظ اي منهم بانه
بدون قدمين ، ولكن المعجب تملكهم
حين راحوا يقرأون ملف مرضه .
عرضت عليه اللجنة عملا اخر ،
لكنه صمم وبشدة على العودة الى
الطيران ، فقد كانت امنيتة ان يطير
من جديد ارسله الى الكلية الجوية
حيث عاد من جديد لدراسة تكتيك
الطيران ، وهنا عرضوا عليه ان يبيت
كمدرّب لتدريب الطيارين الشباب ،
ولكنه رفض بشدة وقرر العودة الى
الجيّة .

كانت عند الكسي خطيبة ، وكانت
رسائلها الدائمة تساعده على الوقوف
امام محنته عندما كان في المستشفى
كتب لها انه بدون قدمين ، وذلك بعد
عودته الى الجبهة وتخطيبه اول
طائرة معادية . كان القلق والخوف
يستحوذ عليه وهو ينتظر الرد منها ،
ولكن فتناته كتبت له بانها تملسم
بالحدث منذ مدة طويلة فقد اخبروها
بذلك . وها هي الان تكتب رسائل



بعض دي

برئت .. برئت منك ومن خيالاتي

واقسه ما بينك ..

رداي ذاتسي ..

برئت من الجنون ،

وعنف حبك ، وانكاراتي

لغنت غرامك المشبوب كالبركان يغريني

لظلك .. احسها تفتال اوردي

وتوقد في شراييني ...

غيبست القلب من ادران اوزاري

فما عاد الهوى يفتال في داري

وكان هواك بعض نيمي

واطواري

وكنت اراك في حلمي

وافكاري

ولكنسي

صحوت الان من ياسي واوهامي

وكفنت الهوى في مهد ايامي

فن اهووك

لن اهوك

بعد اليوم يا ناري ،

انذكر .. اذ منحتك كل اشياتي

وكل الحب .. كل الشوق من اعماق اعماقي ..

وعطرت الدى المخضر من افياء افياي

ووا اسقي ..

غبيا كنت لم تحفل باشواقتي ،

— ٤ —

« في روايتي نهاية سعيدة »
اردت أن اعرف البطل الرئيسي
بكتابي ولكني لم اعثر عليه .

تم طبع روايتي في احدى المجلات
السوفياتية ، وثبت كذلك اذاعتها
عبر الاثير . وفي احدى المرات
وبالضبط صباحا رن جرس هاتفني .

— اريد ان التقي بك .

— ولكن من المتحدث ؟

— الرائد الكسي ميريسيف .

بعد عدة ساعات كان عندي .
وكمادته فقد كان وجهه يشع بهجة
وسرورا .. اربع سنوات حروب
متواصلة ولكنها لم تغير منه شيئا
بقي كما هو .

وقال الكسي :

— كنت جالسا في البيت اطالع ،
وفجأة جاتني والدي كالذعيرة
وقالت وهي تشير الى المذيع :
— اسمع انهم يتحدثون عنك .

اصحخت بسمعي — حقيقة كان
الحديث عني ، لقد تعجبت وتساءلت :
— ترى من استطاع ان يكتب عني

كل هذا ، فانا لم احدث احدا بذلك ،
وفجأة تذكرت لقائنا وكيف اني لم
ادعك فنام في تلك الليلة وانا احدثك
.. لقد كان هذا منذ خمس سنوات .
وعندما انتهى المذيع من القراءة
وذكر اسم الكاتب قررت ان اعثر
عليك .

جلسنا ورحنا نتحدث عن المعارك
عن الاصدقاء عن الذين قضوا ولم
تكتحل عيونهم برؤية النصر . حدثني
الكسي بأنه بقي في الجبهة حتى نهاية
الحرب . وانه حصل على وسام بطل
الاتحاد السوفياتي كما حدثني عن
ازواجه بذاك الفتاة التي كان يحبها ،
وانها رزقا بطفل يدعى فيكتور .

استمعت اليه والسعادة تكتفني
لان روايتي انتهت الى هذه النهاية
السعيدة .

بسم
خالد
الخرزبي





غسق على الصفا



لم نثر كما كان يتوقع ، وحينما دعت الى الجلوس كانت تبسم بلطف ، ظريفة ووديمة كما كان يتمنى ، وجلس وهو يحس بان المخاوف التي صورتها له الهواجس لم يكن لها مبرر ، همهم قليلا ثم ابتسم لها قائلا :

— منذ مدة وأنا اريد ان اتحدث اليك .

هبطت عينها الى المنضدة واخذت سيابها تتناغم مع الخشب ، وقالت بصوت ثابت :

— لقد لاحظت ذلك .
تابعت عينها حركة يدها وهي تدب على المنضدة ، ثم تحركت شفاه :

— واخيرا قررت ان اسالك .
— ماذا ؟
اشعل سيجارة ثم قال :
— انت مخطوبة ؟
هزت راسها نافية :
— لا .
تهند بارتياح وتبسم :
— ان غرضي شريف .
ظلت تقاطعها وداعة مجنحة ، وقالت :

— تريد ان تتزوجني ؟
اوما برأسه :

— نعم .
— ولكني لا اكاد اعرفك .
— ولا انا .
— اذن ..
— نتعارف .

هبطت عينها الى انبائها من جديد . كانت تدور بلا تخطيط ظاهر وسحب نفسا من سيجارته ثم قال :

— وامامنا طريقتان .
— هما ..
— ان اخطبك ثم نتعارف .
— والاخرى ؟
— ان نتعارف ثم اخطبك .
صهقت قليلا فسالها :

— مارايك ؟

ابتسمت بوداعة ، وكانت عينها تتابعان سيابها وهي ترسم على المنضدة دائرة صغيرة جدا ، وقالت :

— لم تحدثني عن نفسك .
— انا معلم .
— عرفت ذلك .
— ولم اتزوج من قبل .
رفعت اليه رأسها :

— حقا ؟

— نعم .

واسترق اليها نظرة سريعة .
ولاحظ طيف ارتياح ينعكس على

بلاجمها للحظة ، وابشتم في داخله
ثم كرر :

— ما رايك ؟

نظرت الى النافذة الغربية .

مكثت تنظر اليها لحظات ثم قالت :

— لماذا اخترتني بالذات ؟

داخله ارتباك مفاجيء ، وتبخرت

من راسه الف فكرة كانت تراوده ،

وقال :

— لا ادري .

— اليس ذلك غريبا ؟

— لا . ربما .

— لا بد من سبب .

— ربما لاني احبك .

— تحبني ؟

— نعم .

— ولكني لم ارك الا مرة او مرتين

— اما انا فقد ظلمت اراك دائما .

— كنت تتابعني .

— كان ذلك ضروريا .

ونظرت اليه متاملة ثم قالت :

— وهل تلاحق جميع النساء ؟

— انت الاولى .

زرعت نظراتها في عينيه وقالت :

— حقا ؟

— اكد بصوت جاد :

— وستكونين الاخيرة .

لمع في عينيهما بريق خاطف كومض

البرق ثم هزت راسها وهيمت :

— قل لي ماذا احببت في ؟

ندت عنه امة مكتومة ، وشعر بان

لسانه ثقيل ، وسيطر على افغاسه

خرج قوي ، وقال بارتباك :

— لا ادري على وجه التاكيد .

— عيني مثلا ؟

— مثلا .

— كيف تراها ؟

— جميلتين .

— مثل ؟

— لا اعرف .

— بحيرتين ؟

— ربما .

— لست متأكدا ؟

— نعم .

واطفا سيجارته بكعب حذاءه ،

وخشى ان تدب الوحشة فغطم الالفة

الوليدة وتاهب لتلطيف الجو ولكن

لعبة الصدق (التي يهواها) حملته

الى مينائها ، وقال :

— هل اتحدث اليك بصراحة ؟

— انا احب الصراحة جدا .

— وانا لا احب ان اكتب .

— اظن ذلك .

— ولذا ؟

— ماذا ؟

— عينك ليستا بحيرتين .

— فماذا اذن ؟

طامنا راسه وقال :

— لا ادري .

— تقصد انها ..

— لم اقصد ذلك .

— فماذا قصدت ؟

— اني احبك ولا اعرف لماذا .

— وتندد بارتياح ، الجو يشوح

بالصدق وهذا هو المهم ، وابشتم

بصفا . ما احلى ان يتم كل شيء

بلا رياء ، وتهادت بعض النسب

من النافذة بمولوت الاتهابس بالمبير

وقال وهو يشعل سيجارة ثانية :

— ولا اخفي عنك انني حاولت ان

اعرف بالذي يجعلني احبك واتجذب

اليك بشئ هذه القوة ولما فشلت جميع

محاولاتي اكتفيت بان اغفو علبى

الذى فوق جبينك الوضاء كوهج

شمس صيفية وان اعيش في شفاك

المخضلة بالف وعد اخضر .

وتندد بعمق ثم جذب نفسا من

السيجارة وقال :

— وما انذا اعيش احلى لحظات

العمر .

ثبتت عينيها في عينيه وقالت :

— لست جميلة فلماذا تبالغ ؟

— انت دوح ظليل

— انا ضفاف صفراء

— والحياة ملك رائعة .

— انت ترى الاشياء بمنظور

ابيض .

— انا اراك كما انت رائعة .

— انت تبالغ كثيرا

— انت تجهلين من انت بالنسبة

لي .

هزت راسها بخفة فتهدلت خصلة

من شعرها القصير على جبينها

سوتها ثم قالت :

— يجب ان اذهب الان .

— نعم .

— الى البيت ؟

— ارافك قليلا ؟

— لا .

— عمتي تلتقي ؟

— لا ادري .

— الافضل ان نحدد وقتا .

— دعها للظروف .

نفذت الى داخله احاساسات

بشوشة وتحركت الى الخارج بدهامه

اصرار عنيد وقال :

— لم تقولي .

التفتت اليه بمسائلة :

— ماذا ؟

— ما رايك بالموضوع ؟

توقفت بوسط الصالة وقالت :

— الافضل ان نبقي اصقاع

— ماذا ؟

— انني احب ابن عمي

انتفض قائلا :

— ولماذا لم تخبريني من البداية

— لم تعطيني الفرصة .

— انت .

— لا داعي للغضب .

رمقتها بنظرة اسف وقال :

— لقد ظننتك ..

— انا اسفة .

— وانا .

وتحرجت خطواتها الى الخارج

بتثاقل ، واشعل سيجارة ثم سحب

منها نفسا طويلا وعند ذاك شعر

براسه يدور باعيا ، ورقم الشارع

بنظرة خاطفة . كان كل شيء يلتف

بخسق احمر .

أحترق في النهر

شعر : محمد فهمي سند

من أيام القسيان الأولى
وأنا أقلب في تذكاراتي
بحنا عن لحظة بدء الخفق ،
وعن سر الكلمات الخجلي ،
والنظرات العابرة المتكسرة ،
على حمرة خديها ،
والبسيمات المبتورة ،
والضحكات المكبوتة ،
والعرق المتصطب بين التهذين المشتعلين ،
وفوق الظهر المسنود على أعمدة الشوق المتألق ..
بين الأرق المتكرر ،
والحلم المتكرر ،
صارت تلقني بالصوت الهامس ،
والوجه المستخفى في الشعر المتهدل ،
والحزن المتشرنق ..

قطع :

(عاتبته العمر المتسرع ،
والحظ المتعثر ،
والشوق الأهوج ،
أذ القوني في جب الدائرة المستفلق ..)
تتوارى تذكاراتي ،
حين تفوص أظافرها في لحمي ،
حين تتور الأنفاس المتبقة في وجهي ،
تتداخل ساعات شرودي ،

بالزمن المطلق ..
أقلب في تذكاراتي ..
المح خيطا مشبوكا في زهرة عباد الشمس ،
المنسية بين الصفحات الأولى ،
من تاريخ العشق ..
يلمحني الألق التياه ،
بمبنيها الوادعتين ،
فتسترخي في جلستها ،
تتناوم عني ،
يندفع الحلم الوردي بأعماقي ،
أن نتوحد ،
أو نتماسك بالأيدي ،
أو نتشقق ..
تنفتح المينان المرهقان ،
وتدفعني للرعدة ،
والصمت المرهق ..
ونولوج :

(تمدين خيط التواصل يوما فيوما
فتصحو عيون التجدد في الأوردة
وتنحل غيمات فصل التقوقع ،
زهرا وشعرا ،
وركضا إلى قبة الشمس ،
بحنا عن المستحيل ،
عن الفرحة الخالدة ..)

صحراؤك عطشى يا وطني
 صحراؤك عطشى للكلبات
 صنت اورنتي
 داست اسمي كل المعجلات
 والموج الراحل ،
 من لغة الصمت ..
 الى لغة الموت ..
 ياتي ، يقطع دربي
 يمتد على كل الطرقات

ط

في زمن الجوع
 ابحت عن وجهي في الصحراء ،
 غاراه ينفض عنه غبار التيه ،
 ويسال عن اخر ينبوع ،

ن

صحراؤك يا وطني
 تبحت عن زمني
 وزمني زمن الجوع
 يحاصره الليل
 ويقبع في اخر قنديل

ي

صحراؤك يا وطني
 تبحت عن سر بداوتها
 وتجيء الى زمن الجوع ..
 تحمله اسرار الرمل ..
 ودفعه التناطىء

تلاوة

يحلو لي يا وطني
 ان ابحت ..
 عن وجهي في الصحراء
 يحلو لي يا وط ..
 ان ادعوك حبيبي
 يا اجيل وردة

ايقاعات وردية

شعر
 زهير
 بهنام
 بركي

ARCHIVE
<http://Archivebeta.Sakhr.net.com>

سأظل سجيناً ،
 اتارجح في عقلي المشدود ،
 الى غدي المابلول ،
 وابسي القنول ،
 ويومي المتزق ..
 حتى تبديء الرحلة للشمس ،
 نللم عمرينا من طرق الغربة ،
 يتبدد ذاك الارق المتكرر ،
 والحلم المتكرر يصبح حلماً ورياً ،
 ممتداً في زمن التسوق ..
 يتلاشى الهمس المتور ،
 ليصبح اغنية تتوالد فوق شفاة ،
 الكون المشرق ..
 تمهد الاهذاب الخجلي ،
 تنشلي من جب الدائرة المستخفي ،
 في الخوف ، وفي الصمت الدائم ،
 والبعد المحرق ..
 هانذا اعطيك القلب التديان ،
 التذكارات ، العمر ، الشعر ،
 الحب المتألق ..
 حتى استلقي فوق اريكة حلمينا ،
 واربح العقل المكثود من التجوال ،
 بازمنة القهر ،
 وايام النسيان الاولى ،
 بحثاً عن دفء الشمس ،
 ولون الماء ،
 وخصب الارض ،
 فانت الامن — الدفء — اللون ،
 الخصب — العشق ..
 وانا من طاف الدنيا ،
 مشبوها بين البحث باعماتي عنك ،
 وبين هواك المتألق ..
 محمد فهي سند — القاهرة

سيرة قصيرة في عالم

شاعرين

بمقام: ج. كمال الدين القصاص

ARCHIVE

<http://Archive-beta.Sakhr.it.com>

استقلالية الرؤية حتى تتشكل في كتاب المخاضه فاتحة الزمان الذي قد يجيء ، نحن نخزن تحت جلدنا برق الماضي ولا نعرف كيف نثر رياح المستقبل ونظل نرقص في قصص الحاضر الى ان تدبل على شفاها كل زهور الحياة ، ان الشعر تحريك وليس تثبيتا وهو هجوم وغزو وانتشار . وفي شعرنا العربي المعاصر تجسدت شجاعة تختبر في هذه الرؤى منفية ثياب الهم العربي على شطوط الدهشة الشمولية ملقية بها في بحر الانسان — الانسان الماضي والحاضر والمستقبل . فهذا هو « ادونيس » ينسلخ من عبوية الاشياء حتى يقف على محورها متبالا سر الكون ، تائها ، ضائعا كالفراشة الحاتمة ...

« ذاهب اتفيا البراعم والعشب ، ابني جزيرة

اصل القصن بالشطوط

واذا ضاعت المرافئ واسودت الخطوط

اليس الدهشة الاسيرة »

ان هذا التخطي للواقع ليس خناجر مرشوقة في صدر المجهول فحسب . بل انه تجاوز تام لعالم لا منتم

ان الشعر ليس فقط تجانس اللا تجانس ، لكنه انبثاق رؤياوى يعكس ميثولوجيا الاشياء واقفا على صيرورتها ليريك العالم ببدائيته المرتحلة في رمل البداوة واندياحه الحضاري الاخير . والشاعر وهو عملية استيطان قلقة لروح الوجود ليس فقط مطالباً بالكشف والتعرية والثورة والتغيير بقدر ما هو مطالب بالتدخل المستقر في الظل واللون والحس والحركة والترحل في غيم التناقضات بالانطلاقية الشاذة وغرابة الالفة والفة الغرابة ، فالشاعر يتطلع ويتخطى . يتطلع الى مستقبل المستقبل ويتخطى الماضي والحاضر ويتمرد على ما هو كائن الى ما ينبغي ان يكون ، واللحظة الشعرية هي عملية انفصال والتصاق . انفصال عن الذات والتصاق بالعالم ، وهي هدم وتأسيس وضحك وتبكيت . واذا كان الوهم الذي يعيش في كينونة الشعر الحديث هو الهروب من الذات والعيش على جذرائها المقروحة الحضاضة ، فان الدخول في العالم — الخرافة والجن والغيوبية الدنياوية — هذا المجهول — الذي لا يبق لا يضمن للشعر صفتي الخلود والحضارة بل يظل نقيضا للحداثة والإبداع . اذا فمذا على الشاعر ؟ لا بد من

يموت . فهذه دمشق التي تخضت في قلبه وعقله ،
دمشق الطفولة والحب فرفطت عنانها على وجهه
وارتبت بين احضانه كفاده حسناء ، اذا فليمبر حواجز
الزمان والمكان وليمبر الذات ليبنى دمشق الجديدة منطلقا
نحو اندلس الدفعة الاربعة في الاجساد . بيد ان
الدرب عسير فنلتزم اوج الخيبة في قلبه وبفقد اخاه
على شاطئ الفرات وهناك تنكسر ممارسة التفتح
والعبور ولا تبقى الا نيران الوداع والرحيل واقفة في
سبع ذاكرتي ، تستيقظ في فراشه بين الحين والاخر .
ان عالم الرؤية الشاملة والايقاع العربي
الكلاسيكي سرعان ما يتحولان الى غضب مسعور وكفر
بالاشياء والمدينة . لكنه الحلم المنبثق والتجسد المرتقب
يساطف من شجر الفرح عنانيد للامل والخلاص
الميتافيزيقي ، ناثشا على برديه الانفعال الاهوج مرثية
النور والنار معتذرا .. اليها لدمشق الحب والعشق
والطفولة ..

**واحمل يا دمشق بالرعب في
ظلال قاسيون ، بالزمن الماضي بلا عيون ..**

بالجسد البائس ، بالمقابر الخرساء

تصبح : يا دمشق

موتي هنا واحترق وعودي

تصبح : لا ، موتى ولا تعودي

وهكذا يظل الشاعر جوابا في الاتاق زاده السحر
والخرافة يبحث عن مستقبل حضاري وانسان جديد
واندلس جديدة ، وكأنه الحلم الطالع من عطش الرؤى
وظيا الليل لغير المشاركة البريئة ومهما طمته دمشق
ومهما قست عليه . ستظل رؤياه ترمضا في ضمائر الزمن
حتى يورق الرماد اعشابا وتتحوّل الهزيمة فتحسا
ومعجزة ، وزمن الشعر عند ادونيس ليس زمن الصرخة
والولادة فحسب لكنه زمن التحول الغريب والانسلاخ
الثوري من ماهيات الوجود الحسية والغزو والفتح
والفكر والامر ..

« الزمن استيقظ والتهار

يصرخ بالاغصان والجذور

يصرخ جاء الشعر

جاء سيوات ترابية

من غير هذا الدهر

الافضل زناد من البخور

والارض جنبيه »

ان قواه تخور ، لكن الزمن يستيقظ والشعر
يجيء والافاق تحول ، تشعشع بالشعر ، بالموت ،
بالميلاد بالبحور . انن لا بأس ايها الرعب فلتات ولنتقدم
ايها الموت ، لكن ارتباط الصورة هنا بالخرافة جعل
المضمون يدخل في حلبة التناقض السديمية بين الحلم

يصبح بعد لحظة متنبيا ، لكنه غير محدود الشكل
والرؤى والملاح ، انه الهروب من عبثية العالم الحاضر
واعتباطيته المندلفة في صلب الاشياء الى الرقص على
دراك التحول وصيرورة الغيوض .

قبل ان ياتي النهار اجيء قبل ..

ان يتساعل عن شمس ، اضي

هكذا يتبلور التحول الميتافيزيقي في ايقاع صوفي ،
الشاعر هنا لا يقف داخل الاشياء فحسب بل انه يعيش
في خارجها ايضا ، ومن ثم لمج رؤيته الشعرية تتسم
بالتحلل والتساقب في طلع الزمان والمكان . انه يعكس
كل شيء على نفسه ويرفض كل شيء لا يصدر عنها ..

« مزجت بين النار والتلوج

لن تفهم النيران غاياتي ولا التلوج

وسوف ابقى غامضا اليقا

اسكن في الازهار والحجارة

اغيب ، استقصي ، اري ، اموج

كالفؤء بين السحر والاشارة

ويخرج ادونيس من الاعماق في رؤياه الانثياقية
غير المحدودة . نافخا في صره الريح معريا وعاريا
يسكن في الازهار والحجارة مزاجا بين النار والتلوج في
تفتيت يشبه البرق كالفؤء بين السحر والاشارة ،
والماضي لديه ضباب موحش والمستقبل غليات مكتظة
بالاستحجار من كل لون وطعم ، لكن ربما ينتقش رويدا ..
رويدا في تلهب الرؤية وبراءة النفس العارية ..

« لو اتني اعرف الشاعر ان يغير القصول

لو اتني اعرف ان اكلم الانبياء

سحرت قبر الفارس الطفل على الفرات

قبر اخي في شاطيء القفرات

مات بلا غسل ولا قبر ولا صلاه

لو اتني اعرف كالشاعر ان اجدن الغرابية

سويت كل حجر سحابة

تطير فوق الشام والفرات »

فبعد ان اصبحت كبياء الزهره — كبياء التشكل
والتحول لدى ادونيس . مالدخول في عالم القتل والمادة
اسطورة مأساوية يشوبها حنين طفولي متدفق حينما
تحت بدول السكون في ساعة العالم الخرية التي
عشتت فيها اليوم والغربان ، ثم يخوضر الياس
نجاة معلنا طاقاته الانسانية ، متحديا برارة الموت
ورشاقة انهزمية ، مفجرا المارد العربي من تحت حواكير
الرماد وجعابيب الظلمة والقهر والغدر ماسكا بحيل
التضاريس ومنصهرا في بوتقة التاريخ انحي السذي لا

والذاكرة والخيال والحقيقة . حيث الافق زناد من
البخور والارض جنية .

وتتكشف الالهة الانثوية المحتدبة في تصديده
النثرية « تحولات العاشق » وتتسق بالتأويل الخارق
والتوسل الحاد في اطار جهالي ممتليء بالشهوة والفرح،
مستوعبا الجنس بكل تحولاته الاخيرة .

« اخترق سفينة جسدي اليك

استطلع الارض الفايضة في خريطة الجنس

اتقدم .. انتشر حولك

واهوى .. بيني وبينك نسر « (آلاف الاجحة) »

نهذا الكشف المستطلع الدؤوب لخريطة الجنس
يتسع كلها ضاقت العبارة ويضيق كلها اتسعت الرقعة
(فكلما قربت المسافة تعطلت الرؤية) .

ويبدو جيدا ان ادونيس عيق الغور ذو مقدرة
عظيمة على سبر النفس البشرية والغوص وراء الظلال
والالوان ويبدو اثر الثقافة الغربية واضحا في شعره ،
خاصة تأثره الشديد بالشعر الفرنسي ورواده الاول
المجددين امثال « بودلير ورامبو وبول فاليري » كما
يبدو ايضا سياحته العميقة وراء التراث العربي
والفلسفة الاسلامية ومبدعها في الحقب الاولى للشكل
والخلق الاسلامي - الصوفي العقل والوجدان امثال ..
النفري - السهر وردي - التوحيدي - الميشار
الدمشقي - الحلاج والفيلسوف محيي الدين بن عربي،
ولقد عني ادونيس غناء لاهنا بالفلسفة اليونانية
الطبيعيتين ما قبل سقراط وأفلاطون وأرسطو وارانهم في
تفسير الوجود والطبيعة كما نسوه في كتابتهم وشعارهم
« بالتحويلات » .

ومن ثم فاللحظة الشعرية عند ادونيس بقدر ما
هي رؤية شمولية تنفجر ينباع وانهارا واشجارا فهي
دائما مجهولة الهوية ، ولغة ادونيس سهلة ليس فيها
اشتقاقات ولا تركيبات غريبة ، لكن الاهتمام بالتوحي
والموسيقى والرجعة شكلا ومضمونا يجعل القصيدة في
لوحه ديناميكية تنجلي فيها طقوس وتكنيك الشعر
الحديث ، ولكم يذكرك دأبا ببودلير ورامبوتهلته وراء
المجهول وتغلغل في خطابه وأوهامه وتهنيكه عبدا في
محاولة عابثة لاستشفاف الطوايا والوصول الى السر
المظلم وهكذا يظل المجهول قطبا غارغا من المضمون
ويظل الشاعر في دائرته لاهنا .. حائرا بسلا معنى ،
وادونيس اذا كان شاعرا وجوديا يبحث عن القصيدة
الوجودية التي لم يكتب نضجها بعد ، فانه سيظل
ينطلق من الوجود الى العدم الى الوجود في سفر دائم
وترحل ميت .



ادونيس

واذا كان ادونيس بنى عالمه الشعري على انقراض
هذا العالم الضائع وفي هروب دائم منه ، فان محمد
عفيفي مطر يطلع من بوتقة التغيير ، منطليا جيباد
الصناعة الخضراء محمدا في مراعي الدهشة الاسيرة ،
مجورا الشخوق ورائقا الفجوات المنقصة في جدران
هذا العالم بالظمى والعشب والحب والخبز والامل
والثورة ، انه الدخول في اللاشيء حتى يكتمل وينسو
ويفصح عن لفته وصوته وحسه وحركته . واذا كان
زمن الشعر الحقيقي لدى ادونيس هو التجاوز التام
بالواقع والتوكل على عصا المجهول الذي ربما تنعكس
رؤاه فان محمد عفيفي مطر يعيش الواقع بجرأة القول
وشجاعة الحلم ، مجسدا النفس العربية في صراعها
المعيق مع الاستعمار والرجعية والتهور والفقر والجوع
والجهل والمرض ..

« جنت اليك وانتظرتك تحت لآف المياد

غرغرة الطفولة عند منعطف من الجوع

وفسوق اسرة من رعي السقي بالصخب

لائي كتبت تحت سنايك المياد مريسا بلا ابوين

ومنظرها على ارض بلا ثنين

ومنظفنا تمزقني الرياح ، تسوقني بالرعب من باب

الى باب »

هكذا يشق الشاعر جدر الهزيمة مغفرا وجهه

لدى الشاعر ليست ضربا من الوهم المنتطح في أسفار السماء ومكوتها العلوي ، أو حلما من أحلام اليقظة المترحل في غيابها اللذة الحاضرة المنصرفة ولكنهما انبثاق ومعاناة للوجود بحاضره المميز القلق وارهاساته اللامتناهية ، فالملهي لديه ظلال تنسقط المستقبل بالكأسة الواعية والمستوعبة للحاضر شكلا ومضمونا .. (ان الرقص خارج الحلبة ، ليس كالرقص في داخلها) .

« بارض الشارع المهجور ما زالت بقايا مقلب الصمت

تخفره فتندقق الوجوه وتوحش الاحياء

وحط الليل يرتضع القرى — المخبوقة الصوت

ويطرح صدره العريان ، يحضن ظميرها وثمارها

الخضراء

فاحلم اتني بمدينة عذراء »

هكذا لا يظل الطنوع على سطح الواقع تعبيراً شعرياً أصيلاً يسبح في خضم التجريب والحدائق تهاها كالهبوط منه . فالشاعر هنا لا يصير الظلال في الجانب الذي نراه ، أنها يصيرها الجانب الآخر ، فهو يوسع رقعة المساء حيناً ثم يضيقها حيناً آخر ، حتى تحضر في الزاوية الحرجة لتصبح المواجهة شيئاً مشوقاً في صدر الحقيقة المراوغة ويصبح الحلم تهرداً ملوفاً لما ينبغي أن يكون .. ، فالشارع للمهجور ،

والصمت المستبد والقرى التي تنام في حضن الليل مخبوقة الصوت — والوجه المسترعبة — المخلوبة الصبح والمخبوقة الليل من هذا الاصراع المتدفق العنيد ، كل ذلك يمثل رؤية تنعكس من حقيقة ماثلة الى حلم لا بد انه سيطوع من هذا الواقع . فالمدينة العذراء — المدينة الحلم والصفيف الذي يطير فوق سبلاتها شعراً وموسيقى والذي تستسقط من ثوبه الاقمار والاثمار والافياء بشكل راندا من نهر دفاق وبهذا يصبح مجلواً ان محمد عفيفي مطر رؤية حضارية تعرف ذاتها العربية الاصيلية واهم ما يميز هذه الرؤية هو هذا الحس القلق المستيق المخاصر للوجود في ازدواجية رشيقه اللون والظل .

« خلال دمي توهج وجهك الزهري وارتعشت عروق

الطوى بالشغب

وفجرني عبيرك طحلباً ومواسياً تهتز تحت عباءة التبت

لثقتني في سواقي الشعر والاحزان سرورة عامي العشرين

وفي عينيك من جيمزيتي ظل ومن تاريخها دوايمة الصمت »

في هذه القصيدة — حسن وجليلة — تجربة فريدة في شعرنا العربي المعاصر ، تدل حساً بأسلوبها

لون وشكل خاص . ولقد استطاع الشاعر ان يحول

هذه اللحظة القصيرة المدى الى رؤية بتشعبة الفروع

والجذور وقاموس الشاعر هنا هو الطبيعة ، فالوجه

بتراب المساء ، مختفراً في ظلالها وابعادها المتشعبة باحثاً عن الخلاص ، عن الحرية والنور في هذا الوجه الهارب الذي سيكمل للاشياء تنجيبها وللفضول دورتها .

فكانت البكرة التي تستفخ في ناي الوجود المقطوع

وتهب الحياة ، ورؤية الشاعر هنا رؤية انفرادية لا

تقف عند زمن معين بل انه يختصر الماضي في الحاضر

وينفض عن راحته غبار الذاكرة الالهية حتى يستوطن

الحلم في صحوه الحقيقة ورمدة الانطلاق . انبثاقاً لعالم

جديد يطل من نافذة الرعب والتشرد ، مخاضاً دموي

يلفك الارض مغرطاً عنقايد الامل من دوحة الميلاد .

وابتاع الشاعر هنا يبدأ بالهفوة وينتهي بالتردد البطيء

والمستمرس في عروق الصورة الكلية التي تطرح

تساؤلاً ملحا وهو البحث عن هذا الوجه الهارب ومتى

سيجيء ؟ .

« وأعرف ان عينيك المغرغرتين بالرحمة ستمتلكان

بالقصر

الجنح اخر الصيف .. وتسبكان في ضعفي

وأعرف ان عينيك المغمغمتين باللفة الالهية

ستخضران ... تخضران حتى يورق العالم

وانك ايها الوجه المقدس من رياح الليل تحرسني

ومن موت النجاة في ظلام الليل تحميني »

اذا كانت المدى الشعرية تقاس بكيفية التعامل

مع الحدث المسقط ، فانها هنا تقاس بالصديق والشفافية

فالشاعر لا يقف عند حدود الاشياء الجاشرة المرفية ؛

بل انه يتخطى التخطي لينبئ عاله في الاعماق حاملاً

على راحته شمع النبوءة وسيف الخلاص .

« اكاد اراك في العتمة

وخلف نوافذ البلور

اكاد اراك فوق القمم الخلقى في كل القنارات ..

التي تاتي من الجهول او تبضي ، واسمع صوتك الفضي

يصصل في عروق الارض حتى يورق الصالم »

امل مرتقب يلون الاشياء بابانها ابدى الغبطة ، منسرباً

خلال الظل والماء والعتمة . نابهاً في خلايا الجهول ،

رابهاً في جسد الانق الممدد على سرير الصرخة المكتبة

كوشم للتور .. الغامضة التي — حتيا — ستنتطق

يوماً ما .

ورؤية الشاعر هنا تنسم بالعمق والبعيد

الانتطاح في صحارى الامل وغابات الفرح وايقاعه

يبدأ بالتكشف والملابسة وينتهي بالانتشار ، فالصور

الجزئية البسيطة والصور الكلية المركبة ثملان نسيج

الاخضرار والفتتح لرؤية شمولية تنتهي بالمتصلة في

عروق الارض حتى يورق العالم .

ومن ثم نستطيع ان نقول ان الرؤية الشعرية

الزهرى والطىء والعشب والسواقي والجيزة والظل ،
ثم هذا الشكل المتناسق البناء ، المؤنق التقاسيم .
ان التآمل للفل — توهج — والفاعل — وجهك —
وهذه الارتعاشة التي تثبت العشب من عروق الطىء
وكذا بقية القصيدة يجد واضحاً ان الشاعر لا يؤثر
الغوض ولكن الغرابة هنا هي اننا لم نألف ايجاد مثل
هذه العلاقة بين الاشياء واللغة .

« اراك الآن يا نافورة الاحلام يسيل الشعر من نهديك
طفلا وصواعقا مجنونة العينين »

— ساهرب منك ان ابنى خلال تغيبى قد مات

— ابوك انا وملك ، والذي ياتي وما قد فات »

ثم ياتي الحوار الذي ينساب في جدائل الموقف
المحير بين الواقع المؤلم والحقيقة العارية . ويبدأ
الهروب المساوي للامتنهى ، حسن بريد ان يهرب من
جليلة التي حملت منه طفلاً غير شرعي وغدا الشعر من
يسيل من نهديها صواعق مجنونة العينين ، ولم تعد
المناسة ، مناسة واحدة لكنها صارت مزدوجة التباريح
والالام ، فابوه خلال تغيبه قد مات ثم هي لم تعد عاشقته
اذ يتحول الموقف الى التكليف الدرامي المتشابك الصور .
لذا نجد رؤية الشاعر هنا تتسم بالتميز على صخرة
الاعتراف الدامي والتشابك في خلايا الاشياء وإيقاعه
ينبع من الجدل الساخط ببرارة اللذة وحرقة اليقين .

«شمس الدمع طالعة وفي فوديك نافذة العصافير الاسيرة
صمتك الدهري خبز في انتظار الاكلين
خطاك نقش دائم التجوال في لحم الكتابه »

هكذا يجسد الشاعر مناسة الفلاح الذي اعتم عينيه
الفقر والصمت والقهر والسلب ، وما زال لقمة سائغة في
ايادي الكلاب . هذه الرؤية التي شكلت من الصمت خبزاً
ومن الخطى نقشاً وتجوّلاً فادرة بأن تعيد صياغة الاشياء
وترتيبها ..

« كتابك يطلع بين الاظفار واللحم عرساً من الصرخات ،
وطبياً من القصب ..

المتنشى بالياه المعيبة .. يطلع من رجفة الجرح تحت
نصال المطر

ويطلع : بردية زغب تتشقق من تحت صفحة الوجه
والنقش عصفورة الخوف والله يسكن في وحشة البوص ،
وجهك في نخلة النهر طلع الكلام ، وطبلة المائلة /
مقسمة بين ايدي الممالك ، مكتوبة في حدود
الاقليم ، .. فاقرا كتابك في عنق المائلة ، نفاها واقرا
تحيابك تحت رنين الفؤوس الصديئة / تحت مصاهرة
الخوف تحت شمس الدم المقبلة / وكوم تريك في قصة
الشعر .. وانتظر القارئين »

اذا كان الشعر كما يرى رامبو هو الوصول الى
المجهول واذا كان الشاعر من هذه الزاوية هو العراف
والبصار الذي يقرأ صفحات الغيب المكون ، فان ثمة
هوة بين الواقع والمجهول . فقد يصبح الواقع مجهولاً
والمجهول واقعاً ، واذا كان اقترباً من الاشياء لا يحقق
الرؤية الشاملة لها فان ابتعاداً عنها قد يوقع في الوهم
والسراب اذا فلا بد للشاعر ان يختصر الزمان والمكان
في نفسه ، يقترب من الحدث والتجربة بقدر ما يتعد عن
نفسه ، فليست هناك ضبابية ولا عتمة لان الشاعر يرى
ويسمع ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على
قلب بشر ، واذا كنا نعيش الواقع فاننا قد لا نألفه ، واذا
كنا نحسه فاننا قد لا نراه ، واذا كنا نراه فاننا قد لا نحسه .
اما المجهول فهو عالم الغيب الذي لا نملك الا ان نتخيله .
والمسألة الدامية — مسألة هذا الفلاح الكادح لم تزل
دائمة التجوال في لحم الكتابة ، ويظل الشاعر يرصد
الابعاد بكل اشكالها والوانها المختلفة فتلحج برأته وهو
يصور الضياع حين تلد في شقوق اقدام هذا الرجل ،
مجسداً البيئة تجسداً نابضاً بالحركة واللون والظل .
نضج صوت الثورة الغامضة يستفز ، في شمس الدم
المقبل / ومصاهرة الخوف / وتدفق قوة التعبير الى
التحدي والشراسة .. فالصرخات عرس والجراح
ترجف ، والحل اتصال .. انها دعوة ملحة للثورة على
هذا الوضع الشنيء .. ومحمد عفيفي مطر هنا ان كان
غلب غامضاً كما يزعم البعض فليس في طبليّة العائلة ،
ورنين الفؤوس الصديئة ومحرمه العرس اي غموض ،
ولكن الغرابة هنا هي هذه المفاجأة التي عاجلتها بها
الشاعر في استعماله البيئة كتماهوس شعري يستمد من
لغته وشكله ورؤيته ومن خلال توهج الصور الكلية
المكتفة تلحج ايقاع الشاعر باسم بالشعبية مثل قوله —
وفي فوديك نافذة العصافير الاسيرة — وتحت خشونة
الظلموط وشم غزالة برية ، وانت تكتم الضحك كيوم
ولدت البقرة ويوم تملبت تحسس المشيمة والبييض
الدائي وتعرفت على وجه امك في رائحة الخبز واللبن
الرائب . ومحمد عفيفي مطر ليس كما يزعم بعض النقاد
مغرماً بصنع الاساطير فانت حينما تقرأ دواوينه الستة ،
نادراً ما تجد اسطورة مستعملة وان استعمالها فانها
في اطار جماعي ورمزي .

تقصيدة العرس العظيم من ديوانه — من دفتر
الصمت تبدو اسقاطات ايوب رمزاً مكثفاً للجوع والمرض
والفقر كذلك في قصيدته الطويلة — ملاحم من الوجهه
الانباد وقلبيسي / انعكاس رومانتيكي يبرز العصر
وتناقضاته التي لا تنتهي الا بالجوع والمرارة .. ، واذا
كان محمد عفيفي مطر يغوص في التراث بكل حسه وكيانه
مستلهماً منه الصورة او الرؤية فانه يستعمل جانباً من

الصورة او الرؤية دون الالتفات حول كليتها وذلك يكثر في شهادة الضحك في زمن البكاء ، وقصائده المبرية الطويلة .

« لقد ولد ميتا فنفتخ في صورتي الفصول
وغسلت ملاحي بالجوع والحقول .. فنحنكم لكي أقول
او أموت لو ظلت صامتا »
ليس الا الصمت والموت ، ليس الا الجوع
والحقول . لكن الشاعر يرفض ان يظل صامتا لأن
الصمت موته اذا فلا بد ان يقول :

« أنهم الظلمة والاضواء والصحف اليومية الاجيرة
والكتب التي تولد في المخادع الغريبة ، والاعين الشاحصة
الرمضاء
اذ ترقب القلة في السماء .. لكنها لا تنظر الارض التي
تجبل بالجرية
من قبل ان اقفر في فوهة البركان .. أنهم الانسان ، من
قبل ان أموت
أنهم السكوت ... أنهم السكوت »

هكذا يعلن الشاعر ادانته المريحة الشرسية
للمجتمع والواقع حيث الحضارة الجوفاء التي لم يعد لديها
الا لب الخرافة تنزته في مقاهي ونوادي الجنس المقيمة،
فالليل هو الليل والنهار ويليون .. مليون الف جدار ،
والصحف اليومية الاجيرة تنفس بيض التبرير والكهانة ،
والرعب والخوف على مائدات الحوار والرقص والمزمار
على مائدات الخيانة . فلا غرابة ان ينهم الانسان
الذي ارتضى السكوت وتنتع بالهزيمة .

«لجنينا اوقفهم في الصحراء
في لباس الخوف والصمت تعروا
ثم ماتوا قبل ساعات اللقاء
ايها الشعب الذي يركض زحفا للوراء
سدت الارحام من دونك لا تمك ان ترجع ماء
في ظهور الشبق الاعظم . فاغسل شفتيك في مراسيم
(البكاء)»

اذا كان الشعر رؤية فانه ايضا قضية وحكم تجلّي
فيه النتيجة التي هي حتما الحقيقة المطلقة وهنا استطاع
الشاعر ان يتغلغل في اعماق الاشياء مستتبنا خوراها
من دواخلها فيجسد لنا حالة الجيش وهو يستعبد
ويحتشد للقاء العدو قبل الخامس من يونيو ، ثم ما كان
فيه من خوف وهلع .. ثم كانت النتيجة — الموت قبل
ساعات اللقاء — واذا كانت الارحام قد سدت فليس الا
البكاء وترا تاسيا تشد عليه المتهدجة المتهدجة الحلة
الانتقام والثأر ، ونلاحظ هنا ان بقاع للشاعر وبنائه

يتسمان بالمنطقية الاسفة فهو لا يدبر الموقف من بؤرة
الثورية الفجة وانما يدع الاشياء تسرب في انحسار
شديد البلاء ، حتى تكون في النهاية صورة كلية لا نهلك
حيالها الا ان نشيد بالبراعة والابداع .

« اكتب جوعي على واجهات المتاجر / اكتبه في الرياح
الثقيلة بالغيث /
اكتبه في احتلام التلاميذ وقت البلوغ / واكتبه في سروج
الحقول ووشم
الرصاص على قبة الجامعة / واكتب جوعي مظاهرة
تستحم بدمع التسوارع تكبر ..
تحت الهروات تدخل اروقها السر / تحلم بالثورة الغامضة
وجهك الحلو يا اول الحلم يا اخر الحلم
نفاحة تضجت وتقاسها الرعب وصداء السيف .. »

يبرهن محمد عفيفي مطر هنا على ان الشاعر لا
موضوع له ، لانه احتواء لكل شيء . وانه ديوميه مستمرة
لا تروقها الهزائم ولا الازاييف ، ومرة اخرى بغوص في
اعماق المجتمع .. مصورا هذا المشهد الرائع للغضب
النافر .. الطالع من رجعة الجرح وشبهة القهر عرسا
جماعيا يخاصر الهبولى في رقصة دائرية تشبه الموت
والجلاد ، فالمظاهرات والرصاص والجامعة والهروات،
واروقة السر والثورة الغامضة كلها معطيات اداتة
صريحة لبشاعة العصر ووطاة السلطة ، والشاعر
يستخدم التذكير المستمر ليحقق جماعية الكلمة اذ نراه
يتنصت لهذا المشهد — الحلم في كل شيء من الرياح
الثقيلة بالغيث واحتلام التلاميذ وقت البلوغ الى هذه
النخبة القوية في — وجهك الحلم — وتتسم رؤية الشاعر
هنا بالشكاشبة وتأخذ بعدا نلاحيا في جدر المساء ،
واذا كانت ايدولوجية الشعر الحديث ترفض الغموض
كينوع للحداثة فان محمد عفيفي مطر يمتلك لغة جديدة
متوثبة كالفراسة ومنطلقة كالصاروخ ، يستوقف دهشتنا
منحذرا في غرابة اليفة من جبال الرمزية الشفافة التي
تفرضا طبيعة المرحلة الحضارية التي يعيشها الجنس
البشري عامة والجنس العربي خاصة فالتقى والشفيع
.. والهزائم والنزوع .. وفقدان الاستقرار والغربة
المقاتنية ... والاضطهاد والعنف والفك والدمار ،
كلها روافد تجمع نهر الزمان والمكان في شرقة الثورة على
كل شيء من اجل الثورة — ان نهمل عواطفنا الخاصة
ونهدم مصطلح الظروف ، لننسق ونعيد محاور
الاشياء ومن ثم نجد ان زمن الشعر عند / محمد عفيفي
مطر هو زمن الثورة الغامضة الغريبة والتداخل المستفز
في خلايا الاشياء ، وهو زمن تجسدي ذو ابداع مبسود
خالق ، يعرف كيف يهدم ويبني في لحظة واحدة ، وهو
امومة الالفة وابوة الغرابة .

مع عمر بن الخطاب في عدله وديمقراطيته جاشا هذا
العالم على صراط التقوى والصلاح .

وإذا كان الشاعران قد استقيا من نبع واحد في
قليل واختلفت رواغد هذا النبع في كثير فانهما لا شك
يشكلان رؤية عميقة للشعر العربي المعاصر ويقفان به
الوقف الطموح الغني بالحركة والإبداع .

جمال الدين القصاص

وليس ثمة تشابه بين — ادونيس — و / محمد
عفيفي مطر فادونيس كما أسفلت عالما مجهولا لم
يعرف ويكشف بعد ، ومحمد عفيفي مطر يعيش العالم
الحاضر بكل مخاوفه ورؤاه ، بكل جوعه وعطشه بكل
مرضه وفقره ، بكل علمه وجهله ، نافخا في نايه المقلوع
حتى تعزف الفصول لحن الدم والبكارة لذا كان لزاما
على ادونيس ان يسيح مع مهييار الدمشقي ، هذا
الصوفي المتبذل بالرؤى والواقف على صراط المحبة
العلوية ، وكان لزاما على محمد عفيفي مطر ان يسيح



عقاب

شعر / احمد زرزور

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

فلا نعرف من ينسجم .. ومن يبكي ؟

واعنداك بالا نضحك الا نزرا ..

وضحكنا في شيخوختنا حين انزلت فوق محاذير الموت

خطانا ...

فرشقت برقوة مهاوينا لعناتك .

— ٤ —

حدثني عن صلتك باللهيب الدائم :

— حطب ام غاية ؟

— طقس ام اجداث

— ٥ —

خرق القهر الجنيين ...

وما زلت ولوعا ..

.....

لم لا تخجل ياتهم الحزن ، كما خجلت في الصبح مرائينا؟

— ١ —

وخط الشيب القودين ...

وما زلت غنيا !...

لم لا تهرم ياسيف الحزن كما هربت في الليل اغاثيا ؟!

— ٢ —

من اوصاك بان تتعقبا ..

نحن الفقراء المتشجين بماهتنا ، نحن — المبنورة بين

القلب — امانينا ؟!

اجنادك يفرشون غلالات حبيبي ،

يضطجعون على نهضة النهدي ، ويسترخون — مغاور

نزال — فوق محاوره الفخزين !!

— ٣ —

من يبنك بغورة دما ..

.. حين تغالب نصلك بسمتنا ، تدمج البسمة بالنصل ،

ثم تترقب في داخلي الاسى فلرذفت

— اسف ..

ثم قلت متوسلا ..

— مش مهم

لكنه ازاح رجائي بقبضته القوية،

ثم جذب محول السرعة وقفز بالمرية

تاركا في اذني امر باترا ..

— اسئني هنا اجيب لك الباقي .

تسمرت في مكاني مرتبكا خائفا قليلا

تتعلق عيناى بالمرية التي تبتعد

بسرعة .

وجدتني وحيدا ، في مواجهتي صف

طويل من ابواب الدكاكين عمياء بالعتية

امتداد اسئلتي لا متناه مضياء

بمصابيح الطريق ، صمت مريب ،

الوحشة تزحف من جميع الاتجاهات

وانا في بؤرة مخيفة ، انتقلت على عتبي

مسرعا عائدا الى بيتي .

حذائي يضرب حصباء الطريق في

ارتباك ولهفة : وجدتني اسرع ، ثم

زدت سرعتي ، ثم بدأت افر جاريسا

دذعت الباب الحديدى ، صر صريرا

عاليا ككلب دست على ذيله ،

صعدت الدرجات القليلة قافزا اتلفت

ورائي كالطارد ..

امتلا سمعي بضجيج محرك

السيارة .. لقد عاد ، بدأ يطلق نفيهر

بقوة ، يداي يتحان عن ثقب المفاح ،

السائق يزأر كحيوان مفترس .

— يا افندي ياللي لك ثلاثة صاغ .

تشبثت بالغطاء وانا ارتعد ، احوال

ان اهوى الى قاع الحذر لانجو .

هدر صوت المرية راحلا ، احسست

بالخلاس ، لا بد ان الشارع الآن

ساكن تماما ، الامتداد الاسئلتي

المجول المضاء بمصابيح الطريق ،

داخلي يرتجف وعيناى تقيطان ، فتحات

ابواب الدكاكين ، اشياء قديمة ،

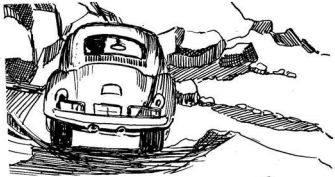
مربعات مجردة يتتابعة تقف فيها

مسيوخ شائبة ، ناس كاجداث فيران

متاكلة ، ظلام تام باعدا هذه المربعات

المضاء التي تقف فيها هذه الاشكال

المخيفة ، في داخلي تسبح دموع دافئة.



الخوف

عبد الحكيم قاسم

<http://ArchiVe.net> على الينين

كنت مخبورا احوال جهدي ان

استجمع وعيى ، سائق التاكسي

رصين الكتفين والعربة تهرق على

الاسفلت المبلول المضاء بمصابيح

الطريق ، يبدو انني مريض بالكبد ،

كمية الخبر الرخيصة في معدني تنقل

على وعيى مثل كلالل الجبل لكنسى

يقظ وعارف ومن طرف خفي ارقب

تتابع الارقام في العداد .

هذا السائق كفءا تساوئان فسي

حركة رتيبة تكيده ، بعد لحظات

سأقول له :

— هنا

ويقف لاعطيه حسابه ، سايره

بالوقوف بصوت خفيض ، لكنه قوي

امر حتى لا يلحق سكري .

عيناى على عداد السرعة ، العربة

تسبطنني بهذا المروق الخارق على

الاسفلت الناعم ، اطرافي باردة

بخوف مبهم .

وليونة وقفت المرية ، ونفتحت
عين خضراء في لوحة العدادات ،
مسطرة هينة على مقبض الباب انفتح ،
المعدن صقيل بارد ، المرية جديدة
متحفزة .

بعميون ساجية متعالية القيت نظرة
على العداد ، اعرف ما فيه سلفاكنني
حريص على ان ابدو طبيعيا ، باناة
خلعت قفازي ودسست يدي في جيب
معطني واخرجت ورقة ذات خمسة
وعشرين قرشا ، عليه ان يرد لى
ثلاثة قروش .

بنفس العميون الساجية المتعالية
تابلت كثة القابض على ورقة النقود
ووجهه الذي تنعكس عليه اضواطلوة
العدادات ، سألني واسنانه تتحرك
وتترق ببضاء ناضعة ..

— معك قرشين ؟

— لا ..

سملونية الزمن ملقنع

«بين الصخر لا يقدر المرء أن يقف ويفكر»
— النبوت — من قصيدة الأرض الخراب —

ترجمة: جبراهيم جبرا

بالأبس مررت على وديان جرداء .
فقرات مقالا يصف الرمان بتلك الوديان .

جنى الملك الضليل أمرناه أن يكتب حوليته في وحدة شعر
لا وحدة بيت ..

كان الجرجاني الشاعر مطلوباً أن يعمل عند السلطان
خيره الحاجب بين النير وبين الفقر
هوى الجرجاني من الحاجب
وأبى أن يقبل بالنير وأبى أن يخضع للدر

انتصب الشاعر تمثالا وسط الساحة أو جنب النهر
قالوا : من شاء بأن يصبح تمثالا فلينس القصص ولينس
الشعر

منتصبا في الساحة تحت الشمس .. أو قرب النهر
(٤)

أمر الإسكندر ديوجينوس أن ينتحي عن ضوء الشمس
قال ديوجينوس أبناؤا لي تمثالا كي أبصر ضوء الشمس
(٥)

لا يوجد فكر بين الصخر

لا يهب التمثال الشعر .

أشارت : المقطع الثالث إشارة إلى بيتي الجرجاني:
وقالوا توصل بالخضوع إلى الفن
وما علموا أن الخضوع هو الفقر
وبيني وبين المال بابان حرما

على الفنسي نفسي الإبهة والدر
— وضع الإسكندر ديوجينوس في أول منزلة بعده هو
فقط وأمر ديوجينوس الإسكندر أن ينتحي جانباً حتى
لا يحجب جسده الملكي .. الشمس .

عبر النهر التاضب كنت امر

عبر النهر الجاري

المياحين واسعة

كنت توقفت ، تأملت الماء المنساب

هل يقدر أن يجري النهر من دون الماء ؟

النهر الاتي عبر السهل الممتد على طول الأرض ، الجاري

بين الشجر ،

العشب ، الصخر .

لون الماء الأخضر ، المسود ، الصافي ، من أين يجيء ؟

هل يجري الماء بلا لون ؟

من أين يجيء اللون ؟

من عشب ، من شجر ، من لون سماء ؟

(٢)

صدر احساسي في هذا العصر

أجبرني غيري أن أكتب أسماء .

أن أحفظ أسماء .

لا أعرف منها غير حروف هجاء .

منع الماء الاتي من قرب البعد

أن يعكس لونا من بعد البعد

غصنا في الوهم

وقصائدنا صارت تعويذات خرقاء

من اللون ، جراء ، خضراء ، صفراء .

وحروف هجاء عبياء .

وضعنا بين الصخر ، واسفلنا كان الماء

أرونا أن ننظم شيئا من تلك الاسماء .

قالوا للماء : تلون من حيث نشاء

لا من حيث تشاء .